

SANKORE'



Institute of Islamic - African Studies International

سَوَقُ الْأُمَّةِ إِلَى إِتِّبَاعِ السُّنَّةِ



تَأَلِيفُ

العالم العامل المجاهد الورع سيف الحق الداعي إلى سبيل ربه ونور الزمان ومجدد الدين وأمير المؤمنين

الشيخ عثمان بن فودي

تَعَمَّدهُ اللهُ بِرَحْمَتِهِ آمِينَ

راجعها وعلق عليها

الشيخ أبو الفاء عمر محمد شريف بن فريد بروكس

في الشرح مسمى توق اللعنة وإتمام النعمة في شرح على سوق الأمة إلى إتباع السنة

عفا الله عنه وغفر لشيخه ووالديه وأهله وأولاده آمين

Copyright © 1423/2002 Muhammad Shareef

Published by

SANKORE'



Institute of Islamic - African Studies International

The Palace of the Sultan of Maiurno

Maiurno, Sennar, Sudan

All rights reserved. No part of this publication may be reproduced, stored in any retrieval system, or transmitted in any form or by any means, electronic or otherwise, without written permission of the publishers

Institute of Islamic-African Studies International

SANKORE'

إهداء هذا الكتاب إلى أولادي:

ألفا عمر ومؤدب محمد وأحمد مازن والشيخ عثمان ونانا تسنيم وعبد الرحمن وفطومة مؤنبة وموسى جكولي

Institute of Islamic-African Studies International

SANKORE'



Institute of Islamic - African Studies International

رَفْعُ مَنْارِ الْحَقِّ بِذِكْرِ سِيرَةِ مَنْاسِبَةِ لِسَيْفِ الْحَقِّ

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله علي سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً

فهذه النبذة البسيطة في سيرة المؤلف الشيخ عثمان بن فودي رحمة الله عليه، ألفتها على مثال قصيدته العجمية الفلاتية مسمى في لغة الفلاتية بمري تتاسبوج وفي العربية قصيدة المناسبة، ألفتها تبركا بها وبه رحمه الله تعالى، فهو شيخ الإسلام وعلم الأعلام والعالم الرباني والغوثة الصمداني وعلامة الدنيا وطالع المرتبة العليا ابو محمد سعد، عثمان المعروف بابن فودي محمد بن عثمان بن صالح بن هرون بن محمد غرط بن محمد جب بن محمد سنن بن ماسران بن أيوب بن بوب بابا بن ابي بكر بن موسى جكل بن الإمام دمئب الترودي، وولد الشيخ عثمان بن فودي يوم الأحد ثلاثة من شهر صفر في سنة 1168 هجرية [حول 15 ديسمبر في سنة 1754 الميلادي] في بلد يسمى مرآط، في جنوب نيجير الحالي.

والشيخ عثمان كان المشهور في لغة الحوسية بـ"ضان فودي"، ومعنى "ضان" في لغة الحوسية "ابن"، ومعنى فودي في لغة الفلاتية "الفقيه" أي كان والده فودي محمد عالما جليلا المشهور بالعلم والتقوى، وأما أم المؤلف فهي السيدة حواء بنت السيدة فاطمة بنت محمد الشريف بن عبد الصمد بن أحمد الشريف بن علي الينبجي بن عبد الرزاق بن الصالح بن المبارك بن أحمد بن أبي الحسن علي الشاذلي بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم بن هرمز بن حاتم بن قصي بن يوسف بن يوشع بن ورد بن بطال بن أحمد بن محمد بن عيسى بن محمد بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله الطاهرين وأصحابه المرضئين.

والشيخ موسى جكل المذكور هو الذي هجر بقبيلته أهل التورودي فرا بدينهم من الفتن من قومهم في بلاد فوت تور ووصل مع قبيلته إلى بلد كوني في بلاد الحوسى، وأصل التورودي من نصارى الروم وقيل ذلك من بني إسرائيل، وصلت إليهم جيوش الصحابة فآمن ملكهم وتزوج بنته عقبه بن نافع المجاهد الصحابي أمير الغرب، فولدت قبيلة تورودي فلان المشهورة، فهم أهم القبائل في نشر دين الإسلام وعلومه وحضارته في جميع بلاد السودان، وأكثر من الثلث السودانين المأسورين المخطوفين من غرب إفريقيا والمجلوبين إلى جزائر في كربين وأميركا الوسطى وجنوبها وخاصة في الجنوب الشرقي من الولايات المتحدة الأميركية من ولايات الكرولاينا الشمال إلى شرقي ولاية تكساس، كان أصلهم من هذه القبيلة وهم المعروفون هناك بأهل الغولة والغيشي.

واعلم أن هذا الشيخ نشأ من صغره في الدعوة إلى الله، وتبحر في العلوم من تدريس والدته ووالده، ثم من الشيوخ من عائلة والده ومن عائلة والدته، ثم من الشيوخ من قبيلته الترودي، ثم رحل في أقاليم بلاد السودان

وأخذ العلوم العديدة من الشيوخ والعلماء من التوارق والحوساوي والعرب والزرهمي والسنغي والكنوري وغيرهم، حتى صار قطب العلوم في زمانه، وقيل أن عدد شيوخه ما أقل من ثلاثمائة العلماء، فمن الله تعالى له ببركة لا جعلها إلا لقلائل من أوليائه.

ومن أهم العلماء الذين لهم التأثير الأكبر في سلوك الشيخ رحمة الله عليه والده الشيخ فودي محمد بن عثمان الذي أخذ منه قراءة القرآن وتفسيره وعلومه، ومنهم ابن خاله وابن عمه الشيخ أحمد بن محمد بن الأمين الذي أخذ منه تفسير القرآن، ومنهم عمه وخاله الشيخ عثمان بن دور بن الأمين بن حم بن عال الذي أخذ منه علم الفقه وقرأ معه المختصر، كان مشهور بالصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنهم خاله الشيخ محمد سنُّب بن الشيخ عبدالله بن الشيخ العالم محمد بن سعد الذي أخذ منه الفقه وشرح الخراشي على المختصر، ومنهم الشيخ أبو عمر جبريل بن عمر الذي أخذ منه الإجازات الكثيرة في الكتب الأحاديث والفقه وبعض السلاسل في الطرق الصوفية، ومنهم خاله وعمه الشيخ الحاج محمد بن الراج بن مؤدب دت بن حم بن عال الذي أخذ منه علم الحديث وسمع منه الجامع الصحيح للبخاري وأخذ منه الإجازة فيه مع سائر الكتب الأحاديث، وغيرهم من الشيوخ والعلماء.

فمن العلماء الماضية الذين لهم أهم التأثير في تطور الشيخ رحمة الله عليه هم الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلاني والشيخ أحمد البيضاوي والشيخ أحمد الرفاعي والشيخ إبراهيم الدسوقي والشيخ أبو حميد الغزالي والشيخ عبد الرحمن السيوطي والشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي والشيخ أبو الحسن الشاذلي والشيخ أحمد بابا التنبكتي والشيخ المحاسبي والشيخ عبد الوهاب الشعراني والشيخ ابن الحاج والشيخ مختار الكنتي الكبير والشيخ عز الدين بن عبد السلام والشيخ محيي الدين ابن عربي الحاتمي والشيخ عبد الكريم الجيلي والشيخ أبو العباس أحمد زروق البرنوسي والشيخ الأجهوري وغيرهم، فمن هذه العلماء العاملين والأولياء العارفين أخذ الشيخ رحمة الله عليه فيض العلوم والمعارف مباشرة وغير مباشرة وسلك على سلوكهم حتى وصله الله إلى ما وصلوا وهي عين الأنوار المحمدية.

فببركة هذه الأختيار رضي الله تعالى عنهم انبلج في قلب الشيخ رحمة الله عليه محبة وشوقا لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لا غاية لها ولا منتهى ولا انقضئها، فقال في قصيدته الدالية:

قَسَمْتُ بِالرَّحْمَنِ مَا لِي مُفْضِلٌ * إِلَّا حَوَى حُسْبُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
أَحْكَى الْمَصَابِ بِشَوْقِهِ لَمَّا عَرَى * مَا لِي سُرُورٌ دُونَ زُورَةِ سَيِّدٍ
فَدُ كَدْتُ شَوْقًا أَنْ أَطِيرَ لِقَبْرِهِ * مَا لِي لَذِيذَ الْعَيْشِ دُونَ مُحَمَّدٍ
شَمْسُ الضُّحَى تَاجُ الْهُدَى بَحْرُ النَّدَى * لَا خَيْرَ إِلَّا فِي إِتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ
هُوَ وَابِلٌ عَمِّ الْأَنْبِيَاءِ نِعَامُهُ * بَلْ كُلُّ خَلْقٍ لِلَّهِ دُونَ مُحَمَّدٍ
لَوْ سِرْتُ طَيْبَةً نَلْتُ غَايَةَ مُطْلَبِي * مُتَعَفِّرًا فِي تَرْبِ نَعْلِ مُحَمَّدٍ

فلا بد أن زيارة ضريح النبي صلى الله عليه وسلم من المستحسنيات، كما قال الشيخ عبد الله بن فودي في ضياء الحكام: "وينبغي لكل مسلم أن لا يمضى عمره ولم يحج بيت الله ولم يزر رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال الفزاري: إذا الدين لم يكمل فلا كانت الدنيا، اي لم يكمل إلا بالحج وزيارة النبي صلى الله عليه وسلم"، فهذا المعروف عند العوام والخواص، ولكن عبارة "زيارة ضريح النبي صلى الله عليه وسلم" له المعنى الخاصة

عند المحققين لأن معنى ضريحه عليه الصلاة والسلام عندهم هو السنن الميِّت التي تنبغي إحيائها، فمعنى الزيارة عندهم هو إحياء وتجديد سنته التي قد ماتت، بأنه يختار السنة وإيثارها على إرادته وهوائه حتى ماتت إرادة وهوى نفسه ولا يبقى فيه إلا سنة النبي صلى الله عليه وسلم، فأشار إلى ذلك بالحديث: ((مَنْ أَحْيَا سُنَّتِي فَقَدْ أَحْيَانِي وَمَنْ أَحْيَانِي كَان مَعِي فِي الْجَنَّةِ))، فمعنى قوله رحمة الله عليه: "ما لي سرور دون زورة سيد، قد كدت شوقاً أن أطير لقبره" أي لا وجد سرور في أي سبل دون إحياء سنة محمد صلى الله عليه وسلم فارتفاع الشمس المحمدية في سماء قلب الشيخ رحمة الله عليه حتى لا رأى ظل نفسه ولا أبصر نجوم غيره، فهذا الأصل من أصول الطرق إلى الله تعالى، وفي ذلك المجال قال الشيخ عبد القادر الجيلاني، رحمة الله عليه في فتح الرباني: "حقيقة المتصوّف هو مصفّى باطنه وظاهره بإتباع كتاب الله وسنة رسوله، وبإزدياد صفائه يخرج من بحور وجوده، فحينئذ يترك مشيئته واختياره وإرادته من أجل صفاء قلبه، فأصل الإستقامة في إتباع النبي صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله، وبتصفية قلبه يرى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه فأمره بشيء ونهاه عن شيء... وصار مع النبي صلى الله عليه وسلم باعتبار باطنه، فمتدرب قلبه عند النبي وفي حضرته عليه الصلاة والسلام، ووضع يده في يده، فيكون النبي صلى الله عليه وسلم مستشاره في الله وبوابه في حضرة الله"، فكان على هذا القصد أفنى الشيخ رحمة الله عليه في أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وسنته في أقواله وأفعاله وأدابه حتى صار رسول الله صلى الله عليه وسلم عقيدته ومذهبه وطريقته إلى ربّه لا غير، وفي ذلك قال في شعره:

أَفَلْتِ نَجُومٌ عَلَاهُمْ بَعْلُوهُ * مَنْ ذَا الَّذِي يَغْلُوا عَلُوَ مُحَمَّدٍ
لَا أُنْسَ إِلَّا أَنْ نَزُورَ ضَرِيحَهُ * لَا خَصْبَ إِلَّا فِي جَنَابِ مُحَمَّدٍ
نَسْمُوا عَلَى كُلِّ الْوَرَى بِسُمُوهُ * وَنَسُودُ بَيْنَهُمْ بِسُودِ أَحْمَدِ
وَبِشَوْقِهِ فَاضَتْ غُرُوبُ دُمُوعِنَا * تَمْحَى ذُنُوبَ عَصَاتِنَا بِمُحَمَّدِ
كَمْ حَائِرٍ بَيْنَ الظُّلَامِ بِهِ هُدًى * أَنْوَارُهُ فِي قَلْبِ كُلِّ مُوحِّدِ

فاتفق العلماء أن هذا القصيدة حدّد ابتداء الأمر التجديد للشيخ عثمان بن فودي رحمة الله عليه، ففي بداية أمره إلى نهايته كان على أسلوب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في أخلاقه وسنته ومحبته، فصارت حياة الشيخ عثمان بن فودي كحياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجعله تعالى تشابها بين الشيخ رحمة الله عليه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم دليلاً على فضيلته له وكرامته لديه، كما قال الشيخ رحمة الله عليه في قصيدته الفلاتية تسمى في العربية المناسبة:

مِيعَتُودُمْ غَنَمٌ يَنْبِغُ اللَّهُ * غَنَمٌ يَعْتَاغُ يَمْبُ كُنْعَمَانِ
مُحَمَّدٌ سَيِّرَامَ حِدُوٍ وَرَأَى * مِيتِيَّ اللَّهُ نُونُورٌ سَيِّرَامِ

معناها: فأقول شكراً لله وذكرنا لنعماء أعطي، فيشر بمجيء محمد قبل ظهوره، واشكر الله كذلك بشر بي قبل ظهوري، فمن ذلك ما روى النقاة عن أم هانئ الصالحة الولية الفلاتية، كما في إنفاق المسير للسلطان محمد بل بن الشيخ عثمان بن فودي: "أنها قالت: يظهر في هذا القطر السوداني ولي من أولياء الله، يجدد الدين، ويحيي السنة، ويقيم الملة، ويتبعه الموفقون، ويشتهر في الأفاق ذكره، ويقندي العام والخاص بأمره، ويشتهر المنتسبون إليه بالجماعة، ومن علامتهم أنهم لا يعتنون برعي البقر كعادة الفلاتيين، ومن أدرك ذلك الزمان فليتبعه"، وفيه أيضاً ما قال العالم العلامة في بلد باغرم الشيخ ولديد الفلاتي "قد أظلكم زمان ولي من أولياء الله، يظهر في هذه

البلاد، يجدد الدين، ويحيي السنة، ويقوم الملة، فمن أدركه فليتبعه، فعلامته أنه يجاهد أولاً باللسان، حتى يتبعه أكثر الموقنين، ثم يجاهد باللسان، ويملك هذه البلاد، وليخرج أميراً برنوا من داره، كما أخرجنا من ديارنا، ويملكها".
 فمن الله عليه عند صغره بأوراد ربانية وكرامات سنوية من شوقه إلى نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم، ومن رغبته لإتباعه في جميع حركاته وسكناته، حتى صار رسول الله صلى الله عليه وسلم شيخه ومرشده في سلوكه، ففتح الله له سر الأسرار في معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ((مَنْ أَحْيَا سُنَّتِي فَقَدْ أَحْيَانِي وَمَنْ أَحْيَانِي كَأَنَّ مَعِيَ فِي الْجَنَّةِ))، فأشرق عليه أنوار المحمدية من جميع الكائنات حتى جلس في حضرته عليه الصلاة والسلام عند كل مجلس العلم ولمع عليه ضيائه عليه الصلاة والسلام عند كل العالم والشيخ والمرشد، وقال الشيخ رحمة الله عليه في هذا المجال في تخميسه المشهور:

أَيَا مَنْ لَهُ أَعْلَى الْمُلَا مُتَّبِوُا أَيَا مَنْ لَهُ حُجُبَ الْجَلَالِ تُوَطَّا
 أَيَا مَنْ لَهُ وَجْهُ مِنَ الشَّمْسِ أَضُوًّا أَيَا مَنْ لَهُ حُجُبَ الْجَلَالِ تُوَطَّا
 أُعْثِنِي اجْرِنِي أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ مُنْشَأُ
 بَعْرِكَ فِي التَّوَرَةِ اسْمُكَ يُكْتَبُ بَعْرِكَ فِي التَّوَرَةِ اسْمُكَ يُكْتَبُ
 بِنُورِكَ كُلِّ فِي ضِيَانِكَ يَذْهَبُ بِنُورِكَ كُلِّ فِي ضِيَانِكَ يَذْهَبُ
 بِذَنْبِي قَدْ أَصْبَحْتُ نَحْوَكَ أَهْرَبُ بِذَنْبِي قَدْ أَصْبَحْتُ نَحْوَكَ أَهْرَبُ

فهذا كان حاله من صباه إلى بلغ مبلغ الرجال، فقال رحمه الله تعالى في تحذير الإخوان من ادعاء المهديّة: "فغاية ما عرفته في نفسي إن الله تعالى قد قامني في حضرة، وإذا أرادت الأحوال من زمن الصبا إلى بلغت إحدى وثلاثين سنة، فجدبتني جذبة حالية من أنوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ببركة الصلاة عليه حتى حضرت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كنت أبكي، وأردت قراءة قصيدة رثا بها أبو سفيان بن الحارث رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وفاته، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقرائتها بين يديه، فقراؤها عليه... فلما قرأتها وبلغت قولي في تلك القصيدة: ويهدينا فلا نخشى ضلالاً * علينا والرسول لنا دليل" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((قف هنا)) فوقفت فبشرني بقوله: ((أنا دليلك على طريق الدين فلا تضلون))، فكان ذلك التبشير خيراً لي من الدنيا وما فيها، مبدأ أمره في دعاء الناس إلى الدين، وفي سنة 1187 هجرية [حول سنة 1772 الميلادي]، ساح في البلدان لتعلم العلوم ويتعلمها للناس، وكان منهجه في التعلم والتعليم إذا جلس عند العالم وقرأ معه مسألة من مسائل العلم وحفظه وفهمه يقوم على الأثر ذلك ودرّس هذا المسألة إلى أزواجه وأولاده وأصحابه وأصدقائه، فبذلك صدر الجماعة يدوره، وزادوا أصحابه في العلوم بإزدياده، ففي ذلك قال في إحياء السنة: "فأكثر الناس جاهلون بالشرع، ويجب أن يكون في كل مسجد ومحلة في البلد فقيه يعلم الناس دينهم، وكذا في كل قرية، ويجب على كل فقيه فرغ من فرض عينه وتفرغ لفرض الكفاية أن يخرج إلى ما يجاوز بلده من الناس ليعلمهم دينهم وفرائض شرعهم، ويستصحب مع نفسه زادا يأكله ولا يأكل من أطعمهم لأن أكثرها فيه شبهة، فإذا قام بهذا الأمر واحد سقط الحرج من الآخرين، وإلا فيعم الحرج الكافة أجمعين، أما العالم فلتنقصيره في الخروج، وأما الجاهل فلتنقصيره في ترك العلم، وكل عامي عرف شروط الصلاة فعليه يُعرّف غيره وإلا فهو شريك في الإثم، ومعلوم أن الإنسان لا يولد عالماً بالشرع، وإنما يجب التبليغ على أهل العالم، وكل من تعلم مسألة واحدة فهو من أهل العلم بها، فعليه أن يُغرّفها غيره إن كانت من فروض الأعيان،

وإلا كان شريكا له في الإثم"، فهذا بيّن الشيخ رحمة الله عليه منهجه في التعلّم والتعليم، فبدأ بنفسه ثم علّم أزواجه وإخوانه وأخواته وأولاده وأولادهم وسائر أقاربه ثم انتشر العلم والبركة في البلدان، وقال أيضا في إحياء السنة: "فحقّ على كل مسلم أن يبدأ بنفسه، فليصنّها بالمواظبة على الفرائض وترك المحرمات، ثم يعلم ذلك أهله وأقاربه، ثم يتعدى بعد الفراغ منهم إلى جيرانه، ثم إلى أهل محلته، ثم إلى أهل بلده، ثم إلى السواد المكتنف لبلده، وكذا إلى أقصى العالم، فإن قام به الأدنى سقط عن الأبعد، وإلا خرج به كلّ قادر عليه، قريبا كان أو بعيدا، وهذا شغل شاغل لمن يهمله أمر دينه"، وبهذه النية قام الشيخ رحمة الله عليه بإحياء السنة وإخماد البدعة وساق العباد إلى التوبة من الكفر والمعصية والغفلة، فيومئذ كتب من مشهور أولى قصيدته العربية التي قال فيها:

هَلْ لِي مَسِيرٌ نَحْوَ طَيْبَةِ مُسْرِعًا * لِأَزُورَ قَبْرَ الْهَاشِمِيِّ مُحَمَّدٍ

وكان حينئذ عشرون سنة، فبان في قصيدته هذه إن سلوكه مبنى على إلتزام بسنة المحمدية ظاهرا، وتخلق بأخلاق المحمدية باطنا، ودوام على الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لسانا وقلبا وشوق وعشق إلى لقاء النبي صلى الله عليه وسلم رؤيا ويغظة، ولهذا حصل للشيخ رحمة الله عليه مقام خاصة بانوار المحمدية وأمه الله تعالى ببركة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، إذ كان يواظب عليها من غير ملل ولا كلال ولا فترة كما قدمنا.

ففي الفترة بين سنة 1188 وسنة 1204 هجرية [حول سنة 1772 إلى 1790 الميلادي]، اجتهد الشيخ عثمان بن فؤدي بالرياضة والمجاهدة حتى وصل بسبب إتباعه للسنة وإلتزامه لأخلاق المحمدية وعشقه للنبي عليه الصلاة والسلام ومدامته على الصلاة عليه إلى المقام الثاني الذي هو المكاشف الكبرى، فظهر له كرمات كثيرة حتى صار مشهورا بين الناس، وهذه الفترة التي سمع الشيخ صحيح البخاري وأخذ إجازة فيه وفي سائر الكتب الأحاديث من خاله وعمه الشيخ الحاج محمد بن الراج في سنة 1200 الهجرية [حول 1786 الميلادي]، وكان عمره حينئذ اثنان وثلاثون، وقال في قصيدته الفلاتية:

مَجِدِّكَ عُدَّ جِرْسَبُ جِدْنِم * مَيْتِي اللَّهُ دُوْدُمُ جِدْنَام
وَأَشْيِي عُدَّ مَعَجُ دَكْشَفُودُ * مَيْتِي اللَّهُ دُوْدُمُ جِدْنَام

ومعناها: سكتت عن ذكر الفضائل الأخرى، فأخرسني في ذلك الإحتشام، وأشكر الله على ما سكتت عنه، وسكتت أيضا عن الفضائل من الكرمات، فالحمد لله على ما أعطي من الكرمات، وقال ابنه السلطان محمد بل في إنفاق النيسور: "وللشيخ كرمات لا تعد ولا تحصى، ولا يحملها إلا ديوان وحده، ولو لا أن الحال ضيق علينا لأوردنا منها بعض ما شاهدناه بأنفسنا، ولكن إذا أذن الله لنا فسنفرد لها إن شاء الله تأليفاً مستقلاً، والحمد لله".

وفيه أيضا قال الشيخ محمد ما الله يبط بن عبد القادر بن مصطفى في نبذة بسيرة: "وفي مكتوب لوالدي أن الشيخ بلغ رتبة الإجتهد ومن مرس كتبه مثل سوق الأمة وعمدة العلماء عرف ذلك، ووظائفه سبعة، فجعل الله تعالى له فوائد مع كل واحدة، منها: زيادة وكرامة وللأخرة أكبر درجات، وقد عدها لنا الوالد عبد القادر رحمة الله تعالى عليه: أولها: تصحيح النية أولا وأرادة وجه الله تعالى وبازائه حسن القبول وانشار الصيت، والثاني: سلامة الصدر والرافة بالخلق وبازائه محبة الخلق وحسن التناء، والثالث: تعليم الفرائض من توحيد وفقه وتصوف وبازائه الكشف عن حقائق التوحيد التي لم يعط الأحد، والرابع: محو البدع وإقامة السنة وبازائه النصر والكفاية والظهور، والخامس: كشف المشكلات وإزالة الأوهام وبازائه البصيرة التامة في الدين والفهم النافذ، والسادس:

محبة النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيم الجانب النبوي غاية التعظيم والشوق إليه غاية الشوق وبازائه الأنوار الساطعة والبركات التابعة والتوئيد والظفر، والسابع: التوسل بالأولياء والانخراط في اسلاكهم وبازائه إمدادهم وحضورهم في الأمور والسلامة من آفات الدهور".

والحاصل إن كثيرا من أصحاب الشيخ وأولاده صنفوا القصائد والكتب في العربية والعجمية في كراماته السنية التي ظهر عليها عيانا، فصار الشيخ رحمة الله عليه إنسانا كاملا ساخرا لنفسه وما حوله بإذن ربه، فظهرت له قوله تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾، وقال في ذلك المجال في كتاب الورد: "لما بلغت ست وثلاثين سنة كشف الله الغطاء عن بصري والوقر عن سمعي وعن شمّي والطخن عن ذوقي والطي عن يدي والثبات عن رجلي والثقل عن بدني، كنت أنظر البعيد كالقريب ولأسمع البعيد كالقريب وأشتم الريح من يعبد الله أحلى كل خلو والمعاصي أفتح كل نتن، وأعرف الحلل بالذوق قبل بلعه، والحرام كذلك، وأجني بيدي ما كان بعيدا وأنا جالس في مكان، وأمشي برجلي ما لم يبلغه الجياد أعوام، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وعرفت بدني عضوا عظما عظما عصبه عصبه لحمه لحمه شعرة شعرة، كل واحدة منها بمراتبها، وما أودعها"، فصار ما يسمى المحققون من الصين "تشيج شنغ" [chih-sheng] أي "الولي الكامل" وهو ولي الله من أوليائه الذي سخر الله له جميع الخلق من نفسه وبدنه وسائر الكائنات.

فهذا التسخير صدر من أنوار المحمدية التي هي جميع الخصال الإستقامة، فقد سجلها الشيخ رحمة الله عليه في كتابه أصول الولاية، حيث قال أن أصولها خمسة عشر: [1] العلم ومداره ما فرض على كل المكلف أن يعلم من أصول الدين والفقه والتصوف، [2] والتوبة من كل ذنب بينه وبين ربه والتوبة من كل ذنب بينه وبين خلق الله، [3] والزهد في الدنيا إلا من الضروريات، [4] والعزلة عن الخلق إلا في أوقات الصلاة وغيرها من فوائد الدينية، [5] ومحاربة الشيطان بالإستعاذة منه والدفاع من خيلته، [6] ومجاهدة النفس وإجمها بلجام التقوة، [7] والتوكل على الله في أمر الرزق، [8] وتفويض الأمر إلى الله في الأخطار، [9] والرضى بقضاء الله، [10] والصبر في المصائب، [11] والتزام الخوف في كل وقت، [12] والتزام الرجاء في كل وقت، [13] ونفي الرياء بالإخلاص، [14] ونفي العجب بمعرفة منن الله تعالى، [15] والتزام الحمد والشكر لنعمات الله عز وجل، فهذه الخصال تولد من أنوار المحمدية التي هي الصراط المستقيم، قال تعالى فيه ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وقال: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أي اهدنا إلى النور المحمدية التي هي الخصال الإستقامة.

وقال رحمة الله عليه في طريق الجنة من سلك هذه الخصال الإستقامة سخر له أربعون خدمات، عشرون في الدنيا وعشرون في الآخرة، أما التي في الدنيا هي ذكر الله له بثائه، وشكره له، وحبّه له، وكونه وكيله، وكونه لرزقه كفيلا، وكونه له نصيرا، وكونه له أنيسا، وعزّ النفس لا يلحقه ذل، ورفع الهمة، وغني القلب، واهتداء القلب بنور الله إلى علوم وأسرار، وشرح الصدر لا يضيق بشيء من محن الدنيا، والمهابة بين خلق الله، والمحبة في قلوب الناس، والبركة العامة يتبرك بتراب وطئ وبمكان جلس فيه، وتسخير الأرض من البر والبحر حتى إن شاء سر في الهوى ومشى على الماء وقطع وجه الأرض في ساعة، وتسخير الحيوان، ولا يسئل الله شيئا إلا أعطاه، والقيادة والوجاهة على باب الله فيبتغي الخلق الوسيلة إلى الله تعالى بخدمته ودعائه ووجاهته وبركته، وإجابة الدعوة من الله تعالى حتى لو خطر بباله شيء لحضره بإذن الله تعالى، فيسبب سلك هذه الخصال جعله الله تعالى خليفة في كونه، فما ظهر هذه الكرامات إلا من مشكاة النور المحمدية صلى الله عليه وسلم، فيبركة التزام

بالسنة ظاهرا وباطنا سُخِرَ للشيخ رحمة الله عليه جميع الخلق، حتى السلاطين في البلدان، فصار مدار البركة للسلاطين فما زالوا يتخذونه وسيلة إلى الله تعالى وطلبوا من كرامات دعائه ويتبركون به.

وفي ذلك المجال ذكر الأستاذ عبد الله بن فودي في تزيين الروقات وما وقع للشيخ في هذا التسخير في يوم الجمعة من العيد الأضخى اليوم 9 ذي الحجة في سنة 1204 هجرية [يوم 20 اغسطس في سنة 1790 الميلادي] أرسل باوًا إلى جميع علماء بلاده لأن يجتمعوا عنده في عيد الأضحى وهو إذ ذاك في مكانه الذي يسمى مَعْمِي وهو شمال من كياوًا، فقال الوزير غداد في كرامات الشيخ: "فاجتمعنا لديه وقال ما قال وتصدّق على العلماء بأموال كثيرة، فقام الشيخ عثمان بين يديه، وقال له: "إِنِّي وَجَمَاعَتِي لَا حَاجَةَ لَنَا إِلَى أَمْوَالِكَ وَلَكِنْ أَسْأَلُكَ خَمْسَةَ أُمُورٍ: [1] أن أترك أدعو إلى الله في بلدك، [2] وأن لا يمنع أحد يريد إجابة دعوتي، [3] وأن يجعل لكل ذي قلنسوة وعمامة حرمة، [4] وأن يطلق كل من في سجنك، [5] وأن يؤخذ من الرعية ما يضرهم من الخراج، فأجاب له السلطان: بأني أعطيتك ما سألت ورضيت لك بجميع ما تحب! بأن تفعل في بلادنا هذه، فحمد الله على ذلك ورجعنا بإقامة الدين ورجع سائر العلماء بالأموال"، ومع ذلك سخر الله تعالى له بجمع المدن له علماتها وأهل الصناعات والحرف والغزو وجمع له جموع الإسلام كما سيأتي إن شاء الله.

ومن كراماته أيضا ما فتح الله تعالى عليه إذا بلغ عمره أربعين سنة، فكما فتح الله تعالى لنبينا صلى الله عليه وسلم وبعثه خاتم النبيين وإمام المرسلين وهو على رأس أربعين سنة من عمره وكذلك فتح الله تعالى للشيخ عثمان بن فودي وجعله إمام الأولياء كما قال أيضا في قصيدته الفلاتية تسمى في العربية المناسبة:

مُحَمَّدٌ جَوْتَتَاكَ صِفَاحٍ مُؤْمٌ * مَنَاسِبَ أَرَادَ مَعَكُنْ مِيرْ أَرَامِ
أُمُورَ دِي وَنَا! مَجْبِيئِي * حِتَادِ غَتَامِ نُونِثِرِ نَنْدِنَامِ

معناها: فلا يمكن أن حصل على صفات محمد جميعا، فمن طيب موافق به طيبت، فهو إمامي فلا أضل، والسنة جُعِلَتْ شعبة منه فحينئذ جُعِلَتْ مشابها به، فقال الوزير غداد في روض الجنان في سبب ذلك الفضل أن من شوق محبة الشيخ رحمة الله عليه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ العهد والميثاق أن لا يكلم الناس سنة كاملا من يوم مولود النبي صلى الله عليه وسلم الذي هو إثنى عشرة من شهر ربيع الأول إلى إثنى عشرة من شهر ربيع الأول من سنة بعده، فعند كمل عهده بعد سنة نور الله تعالى قلبه بأنوار المحمدية، كما قال أيضا في كتاب الورد: "فلما بلغت أربعين سنة وخمسة أشهر وبضع ليال وجذبني الله إليه فوجد هناك سيد الثقلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومعه الصحابة والأنبياء والأولياء ثم رحبوني وأجلسوني وسطهم، ثم أتى غوث الثقلين سيدنا عبد القادر الجيلاني بثوب أخضر مطرز بلا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمامة مطرز بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾" وقال: "فقالوا له ألبسه وعممه وسمّه بإسم يختص به، ولبسني وعممني ونداني بإمام الأولياء وأمروني بأمر بالمعروف وأنه عن المنكرات وقادني سيف الحق وأمروني بسله إلى أعداء الله وأمروني ما أمرني"، وكان هذا الفتح الكبرى والجنب الإلهي في سنة 1208 هجرية [حول 1794 الميلادي].

وفي ذلك أيضا قال أمير المؤمنين محمد بل في إنفاق الميسور: "وأخبرني أنه حين حصل له الجذب الإلهي، ببركة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، إذ كان يواظب عليها من غير ملل ولا كلال ولا فترة، أمده الله بفيض الأنوار، بواسطة الشيخ عبد القادر الجيلي رضي الله عنه، وجده الرسول صلى الله عليه وسلم، فشاهد

من عجائب الملكوت وحصل على غرائب الجبروت، وشاهد أفعال الأسماء والصفات والذات، ووقف على اللوح المحفوظ، وفك رمزه الملحوظ، وكساه الحق تعالى حلة الدعوة إليه، وتوجه تاج الهداية والإرشاد إليه، فنادى منادي الحضرة: يا أيها الناس أجبوا داعي الله، مرات، ثم قال: "يؤفك عنه من أفك"، ثم رده الحق تعالى إلى محل الإفاقة، ليتأتى له الإرشاد والدعوة، وربما تعاهدته أنوار الجلال فقبضته، أو تفقدته أنوار الجمال فبسطته، مع أنه من أهل التمكين والمقامات، لا من أهل الأحوال والواردات، فقام بما قلده الحق به، وأهله من الدعوة إليه، والدلالة عليه، فجعل يدعو إلى الله ويدل عليه، فقام الشيخ رحمة الله عليه يدعو الناس إلى الله تعالى، وينصح لعباده في دين الله، ويهدم العوائد الرديئة، ويخمد البدع الشيطانية، ويحيي السنة المحمدية الحياتي".

وكما عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم الإنكار والبغض والكفر من أهل مكة وغيرهم من العرب كذلك عرض للشيخ الإنكار والبغض والجحود من أهل بلاده، فقال في قصيدته الفلاتية:

مُحَمَّدٌ مُبْدِئُ تَرَاجٍ دِيمِيئِي * مِيئِيَّ اللَّهُ دُوْدُونِرٍ تَقَامِ
أَحْعُسِدِرِ أَيْ غَعْتُ حِدُوْ غِيَاْدُمُ * مِيئِيَّ اللَّهُ دُوْدُوْرُ دُوْتِيَامِ

معناها: أن عرض لمحمد قساوة من الناس، واشكر الله ففي ذلك ايضا عرض لي، وأنه عليه السلام لا واجهه الناس بسوء، واشكر الله على هذا السلوك قد قمت، وقال الشيخ محمد ما الله بيظ بن عبد القادر بن مصطفى في نبذة يسيرة: "اعلم إن الشيخ عثمان رحمه الله تعالى قد نشأ قيما في دين الله مع خلق عظيم وطبع كريم صلبا في الدين لا تأخذه الحمية الجاهلية ولو في الغربي، يوقر الكبير ويرحم الصغير وقد أتفق أهل عصره على أنهم لم يروا له في حسن الخلق مثلا، وقد سأل بعض العلماء أختا له وهي في عصمة الشيخ: "بأي فضل هذا الرجل جميع الرجال؟"، فقالت: "ما رأيت له عبادة أكثر من عبادتكم فير إنني رأيت منه خلقا حسنا لا أعدل به أحدا من الناس إلا النبي صلى الله عليه وسلم، فإن له الفضل على الكل".

وفيه قال السلطان محمد بل في إنفاق الميسور: "قلما أوضح الشيخ الطريق، واهتدى إليه أهل التوفيق، وسلك السالكون، وبقي أهل الدنيا من علماء السوء والملوك في طغيانهم يعمهون، فخف ميزانهم، وبار سوقهم، وسقطوا عن أعين المهتدين، فجعل أولئك الملوك والعلماء يؤذون الجماعة، وينهبون أموالهم، ويغرون بهم سفهاؤهم، ويقطعون طرقهم، ويعترضون لكل من ينتسب إلى الشيخ، وهو وجماعته لا يعترضون لهم، ولا يجري على خاطرهم أنهم يطيقون ذلك البتة، إذ غالب أولئك الأتباع ضعاف الناس، لا يعرفون الغزو قط".

فكما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فرا بدينه من الفتن وهو في بداية خمسين من عمره كذلك هاجر الشيخ رحمة الله عليه وهو في بداية خمسين من عمره، فقال في قصيدته الفلاتية:

أُنْدُرُ دِيْنَ وَنَفِي دُتْرُ أَفْرِنَا * مِيئِيَّ اللَّهُ نُوْنِرُ كُوْرِنَامِ
سَبَابِ فِرْنِ تَحْفُرْبِ إُوِيْمُو * مِيئِيَّ اللَّهُ دُنُرُ إُوْرِنَامِ
غَعُو فِرْنَابِ سِيْرِي أَيْنِ * مِيئِيَّ اللَّهُ تُوْنِرُ أُيْنَامِ
أَرْنِ سَفُوْرِ سِتِّيْنِ أَفْرِنَا * مِيئِيَّ اللَّهُ دُوْنِرِ فِرْنِيَامِ

معناها: أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا الناس إلى الدين فظهر التوحيد في قلوب الناس وبعد ذلك كان مكره على الهجرة، واشكر الله خرج الناس على ذلك، وسبب هجرته لدفع عن القتال، واشكر الله أنقذني من ذلك، فهاجر النبي صلى الله عليه وسلم شرقا ثم شمالا، واشكر الله كذلك أنقذني، وفي الحلقة السادسة من عمره هاجر

بدينه صلى الله عليه وسلم، واشكر الله كنت في هذا السن إذا أنقذني، فهاجر الشيخ رحمة الله تعالى عليه من طغل
عام 1218 في شهر ذي القعدة لعشر مضت منه [حول 1804 الميلادي]، وفرّ وكل من استمع له وأطاع منه شرقاً
إلى كُرٍ نَعْنَدُ ثم إلى طِمْبًا ثم هرب شمالاً إلى كَلَمَالُ ثم إلى فَرَحَاجِ ثم إلى رُوَاوِرِي حتى وصل الشيخ إلى غُدُ،
وكان عمره في ذلك الوقت واحد وخمسون.

وكما أذن الله تعالى لنبينا صلى الله عليه وسلم بعد هجرته إقامة الجهاد وجعل له الفتح المبين في غزوة
البرد وفي أربعة غزوات بعده، وبعد ذلك غزوة الأحد التي فيها استشهد كثير من المسلمين كسيدنا حمزة بن عبد
المطلب وغيره، فكذلك وقع هذه الأمور للشيخ عثمان بن فودي، كما قال في قصيدته الفلانية:

يُبَاوُ فِرْنُ أُحْدَرْنَا جِهَادٍ * مِيَّتِي اللَّهَ نُونِرُ كَيْتَنَامِ
حَمِي حَرَامُ أُفْدُنِيَا جِهَادٍ * مِيَّتِي اللَّهَ دُونِرُ فُدْنَامِ
أُحْرِ جُوْرُ تِينِيْمُ دُوْغَرَايَ * مِيَّتِي اللَّهَ كَنْجِبُ لِمَتْنَامِ
كُنُوْجُ جُوِيْجُ دِينْفُ يُنْصِرُ يَادِ * مِيَّتِي اللَّهَ مِيْهَبُ فِ نَصْرِنَامِ
أَرْنُ كَبِ وَرْتِنِيْمُ لِأَبْرِغُوْغَا * مِيَّتِي اللَّهَ دُونِرُ لِأَبْنَامِ
يُبَاوُ دَامْفُ جَرَبَ مَمِّمُ جَوْلِبِ * مِيَّتِي اللَّهَ دُوْحِيِي مُمِيَامِ

فمعناها: فبعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم كتب عليه الجهاد، واشكر الله كذلك كتب عليّ، وفي شهر
الحرام بدأ جهاده، واشكر الله في هذا الوقت بدأ جهادي، فجاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في خمسة معرقات
فبعدها لا يمكن واصل إليه الذين خرجوه من مكة، واشكر الله معركاتي بلغ إلى ذلك العدد، وفي جميع هذه
الخمسة المعرقات نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم على الكفار، واشكر الله كذلك اعطيت النصر في الخمسة
المعركات الأولى، وبهذه غزوات الأولى أظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أعدائه، واشكر الله أظهرني
أيضا في خمسة غزوات الأولى، ثم بعد تلك الأظفار وقعت الفتن والأذى للمسلمين، واشكر الله على الفتن التي
وقعت لي في ذلك الوقت أيضا.

فقال الشيخ عبد القادر بن مصطفى في موصوفات السودان بيانا لذلك:

"وَقَدْ غَزَا فِي خُمْسَةِ الْجُبُوشِ * تَتَابِعَا بِحَمْدِ رَبِّ الْعَرْشِ،
وَبَيْنَمَا بِخَبْرِ الْكُفَّارِ * يَقُودُ يُنْفَ أَبُو الْأَشْرَارِ،
وَاجْتَمَعَتْ كَفْرَةُ السُّودَانِ * بُغْضًا لِأَهْلِ الدِّينِ وَالْإِحْسَانِ،
وَيُنْفَ قَدْ أُرْسِلَ فِي الْبِلَادِ * لِأَنَّ يُعِينُوهُ عَلَى الْعِبَادِ،
مَعَ غَوَابِرٍ كَوَاشِنِ جَمْعَانِ * تَوَارِقُ عَوَادِرٍ سَيَّانِ،
تَتَاصِرُوا جَمِيعُهُمْ ثُمَّ أَتُوا * فِي كُتِّ مُلْتَقِي الْجَمِيعِ مَنْ قَدْ رَأَوَا،
لِوَاءِ حَزْبِ اللَّهِ بِالْحَقِّ عِلَا * يَوْمَنْدُ كُفْرٍ وَظَلَمٍ دَلَلَا،
وَجَاءَ عَبْدُ اللَّهِ فِي الْجُمُوعِ * مَعَ فِتْنَةٍ صَادِقَةِ الْوُفُوعِ،
هُوَ الَّذِي أَوْلَى مَنْ رَمَى بِهِمْ * سَهْمَ الْجِهَادِ فِي لِقَاءِ غَيْرِهِمْ،
شَدَّتْ مَنَاطِقُهُمْ أَحْرَارُ * وَأَقْبَلُوا فَاصْطَفَتِ الْكُفَّارُ،
تَوَنَّبُوا فَصَاحَتِ الْفَجَّارُ * وَحَمَلُوا فَكَبَّرَ الْأَبْرَارُ،

تَدَاخَلُوا فَظَلَمَتِ الْغُبَارُ * وَطُفِنَتْ هُنَاكَ تِلْكَ النَّارِ،
 قَوْلَتِ الْغَوَابِرُ الْأَدْبَارَا * لَنْ يَلْتَفِتَ أَجْمَعُهُمْ فِرَارَا،
 سُلْطَانُهُمْ غَادِرَ نَعْلِيهِ كَمَا * عَنِ الْقَبَابِ وَالْدُرُوعِ أَنْهَزَمَا،
 وَعَنْ سَرِيرِهِ وَطَبْلِهِ مَعَا * وَسَيْفِهِ وَهُوَ ذَهُولٌ جَزَعَا،
 أَلَاتُ دَوْلَةٍ وَحَرْبٍ وَجِدَّتْ * يَوْمَئِذٍ غَوَابِرُ مَا حَمِدَتْ،
 وَأُسْتَنْدَهُمْ فِي بِلَادِ الْكُفْرِ * عَلَى الطُّغَاتِ وَوَلَاتِ الْجَوْرِ".

وفيه أيضا قال السلطان محمد في إنفاق الميسور: "وقعة كتو هي أعظم وقعة بيننا وبينهم، وهي بمثابة ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ﴾"، فيماتل وقعة كتو إلى يوم الذي فرقته فيه بين الحق والباطل ويوم التقى حزب الله وحزب الشيطان وهو يوم بدر، وكذلك يماثلهما الأستاذ عبد الله بن فودي بقوله في تزيين الورقات:

فلم يك إلا أن رأيت جهامهم * قد انكشفت عن شمس الإسلام تلمع
 بنصر الذي نصر النبي على العدا * ببدر بجمع الملائك يجامع

فأما الفتن التي وقعت بعد أظفارهم على الكفار فهي وقعة تُثَنُّوا كما قال في موصوفات السودان:
 "فَهَجَمُوا عَلَى دِيَارِ الْمُسْلِمِينَ * مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ثُمَّ وَلُوا مُدْبِرِينَ

فَقَتَلُوا طَائِفَةَ الْعُلَمَاءِ * فِي مَعْرَكِ بَوَقَعَةِ اللَّفَاءِ
 وَمِنْهُمْ الْإِمَامُ مَمَّنْ تَنَبَّ * أَكْثَرُهُمْ قِيلَ مِنْ آلِ جَبَّ
 نَاهِيكَ مِنْهُمْ عَالِمٌ سَعْدَارِ * صَاحِبُ النَّحْوِ وَالْأَثَارِ
 زَيْدٌ وَدَّتْ ثُمَّ ضَادِنٌ يُنْتَسَبُ * إِلَى دُمَامٍ قَدْ كَفَى ذَاكَ الْعَجَبُ
 وَغَيْرُهُمْ مِنْ حَفْظَةِ الْقُرْآنِ * وَطَلَبَةِ الْعِلْمِ دَوَا الْإِتْقَانِ
 عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ جَمِيعًا * وَكَانَ لِحُبِّهِمْ لَنَا شَفِيعًا
 شُهَدَاءُ فِي تَنْثُنَا لَا يَحْدُ * لِكَثْرَةِ التَّعْتَادِ لَا يُعَدُّ".

فكما نصر الله تعالى لنبينا عليه الصلاة والسلام على الكفار بفتح مكة وثبت قدمه على جميع العرب وغيرهم، فكذلك نصر الله تعالى للشيخ عثمان بن فودي كما قال في قصيدته الفلانية:

أُتْمِنَنَامُ إِيْنِ أَجَالِيْبِيْنِي * مِيْتِيَّ اللّٰهَ مِيْمَبُ دِجَالِنِيَامِ

ومعناها: فأتم وعد الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم أن نصره على أعدائه، واشكر الله على نصرته لي أيضا على أعدائي، فثبت الله تعالى الشيخ والمسلمين معه بالنصر والظفر وإقامة الدين في إثار قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال الشيخ رحمة الله تعالى عليه في نجم الإخوان: "وأما بيان ما من الله تعالى به علينا في هذا الزمان من جهة الدين والدنيا ليشكر أهل الزمان عليه، فيستحقوا المزيد، إذ قال الله تعالى: ﴿لَنْ شَكَرْتُمْ لِأَرْبِدِنَكُمْ﴾ وليعلم كل ذي بصيرة أننا على قدم محمد النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم في جميع أمورنا، فاعلموا يا إخواني أن الله عز وجل قد من علينا في هذا الزمان ببيان ما يعتقد في دين الله، وبيان ما يترك في دين الله، وبيان ما يباح في دين الله وإزالة الشبهه عن دين الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتخويف الناس بما يحملهم على ترك معاصي الله، وتبشير الناس بما يحملهم على عبادة الله، ثم من علينا بالهجرة، وتأخير أمير المؤمنين، واتخاذ آلات الجهاد، التي هي: الخيل والنبيل والأقواس والرماح والأسياف والأتراس والدروع،

والمناطق والمغافر والألوية، ثم من علينا بالجهاد بها، وتأمير أمراء الجيوش، وتأمير الخازن، وتأمير أمراء البلدان، وتأمير الكتاب، وتأمير الرسل إلى الملوك، واتخاذ الخدام في الحضرة، وتأمير القضاة، وتأمير أمراء الحدود، وتأمير أمير الحج، فهذه ثلاث وعشرون خصلة من شعائر الإسلام، كعدد سنى رسالته صلى الله عليه وسلم ونحن نحمد الله الذى من علينا بإظهار هذه الشعائر فى آخر الزمان".

فمنّ الله تعالى على الشيخ رحمة الله عليه وجيشه بالفتوحات المتتابعات، ففي شهر رمضان في سنة 1220 هجرية ففتح محمد بل بن الشيخ عثمان بن فودي كَانُو، وفتح جَان دُوتَ في شهر ذي القعدة سنة 1220 من هجرة، وفي سنة 1221 هجرية فتحت بلاد كَثْنَه، ووقع القتال بين المسلمين وأهل بَرْتُو، فتزاحفو عدة زحفات لينتصر فيها المسلمون، وفي سنة 1222 الهجرية كانت غزوة الْقَاضَاوَا أولى ولم يكن فيها فتح حينئذ، وقتل من صناديدها ما يزيد على عشرين قوماً، وفتحت مَادَمُ، وفتحت كَنُو من أطراف كِيَاو، وعدة حصون من سائر البلاد، وفي سنة 1223 هجرية كانت غزوة الثاني وفتح الْقَاضَاوَا، فأتم الله بذلك للمسلمين الفتح والنصر والظهور، وأزال شوكة الكفر في سائر البلاد الْحَوْسِيَّةِ، فتاب علي يده بعضهم وتابعه آخرون، فأستقام أمر البلاد وأطمئن جوانبها، والله الحمد، وفي سنة 1224 هجرية جاوزت جيوش الإسلام البحر، وفتحت بلاداً وحصوناً ورجعت سالمة غانمة، وفي شهر رمضان في سنة 1224 هجرية إنتقل الشيخ من غُنْدُ إلى سِيْفَاو ووصلت الجيوش إلى زَبْرَمَ و غَرْمَ، وفتحت و غَنَمَتَ ورجعت، ووردا أرض نَفَى فاصابت منها، وفتحت بَرْتُو بأسرها، وفيها كثرت الفتوحات من بلاد نَفَى على يدي ابنه الشيخ محمد البخاري بن الشيخ عثمان بن فودي وابن أخيه الشيخ محمد بن عبد الله بن فودي، وتكاثرت غنائمها، وكانت غزوة غُوبِرَ، وفتحها على يد الأمير محمد بل بن الشيخ، ومن سنة 1225 إلى سنة 1226 هجرية أمعنّت الجيوش في بلاد العدو وكثرت الفتوحات، وفاضت الأموال والغنائم، وفي سنة 1227 هجرية قاد مالم موسى أمير زَكْرَكَ الجيوش، وفتح كثيراً، وفي سنة 1228 هجرية خرج حَمِي بِمَاغَنَغَ، فأدعى المهديّة فنال أمره إلى أن أخذ وصلب، وفي سنة 1229 هجرية وصل الجيش إلى بَرُغُ فأنهزم ورجع، وكانت فتوح، وفي سنة 1230 هجرية أنتقل الشيخ من سِيْفَاو إلى صُكْتُ، فأقامه عاصمة الخلافة الصكّية بباد ابنه محمد بل بن الشيخ عثمان بن فودي، يوم الإثنين خمسة من شهر جماد الثاني في سنة 1230 هجرية، فعمرها ومهدّها وصارت قبة الإسلام في بلاد السودان إلى يوم القيامة، وفي آخر هذه السنة غزا الشيخ محمد بن عبد الله بن فودي بلاد بَرُغُ وفتحها وقتل أميرها، كان الأمير محمد بن عبد الله من أكبر الأولاد للأستاذ عبد الله بن فودي شقيق الشيخ عثمان، ووقع هذه الفتوحات في الخريف من أواخر سنة 1230 هجرية، فصار الخلافة الصكوتية العثمانية ببركات الشيخ رحمة الله عليه اعظم دولة في بلاد السودان، ثبت الله أركانها وأيد سلطانها إلى يوم القيامة، فمن كل تلك البركات والفتوحات انعقدوا العلماء إن الشيخ عثمان بن فودي الحادي عشر من الخلفاء الراشدين المهديين الذين يُعتدى بهم باطنا وظاهرا الجامعين بين مرتبتي العلم والولاية الفائزين بالسيادة الباطنية والسياسة الظاهرية، فكان تحت سلطانها وسائط بلد السودان كلها وبعض السواقل وأكثر العوالي، والحمد لله على ذلك.

وما زال الشيخ في هذا الفترة يصنف الكتب المفيدة، فمن سنة 1180 إلى آخر عمره صنف الشيخ رحمة الله عليه مصانيف عديدة وكتب مفيدة وقصائد جليلة في كل فن من فنون التوحيد والفقہ والتصوف والأصول والفروع والسياسة والأحكام، فلا صنف كتاباً إلا كان هذا الكتاب محتاجاً لجماعته وضرورية في مشكلاتهم وتنبئها للمسلمين، فمن أهم كتبه هذا الكتاب بين يديك سوق الأمة إلى اتباع السنة، وكتاب عمدة العلماء، وكتاب عمدة المتعبدین والمتحرفين، وكتاب مرآة الطلاب، وكتاب إحياء السنة وإخماد البدعة، وكتاب حصن الأفهام من جيوش الأوهام، وكتاب ترويح الأمة، وغيرها، فهذه الكتب يدل على أن الشيخ رحمة الله عليه بلغ رتبة الإجتهدية والمجددية.

ومنها مصانفه في أصول الدين وعلم الكلام ككتاب أصول الدين، وكتاب رجوع الشيخ السنوسي عن التشديد في التقليد، وكتاب كفاية المهتدين، وكتاب تحقيق العصمة، وكتاب شفاء الغليل في كل ما أشكل من كلام شيخنا جبريل، وغيرها.

ومنها مصانفه في فروع الظاهرة في فن الفقہ والفرض العين ككتاب عمدة البيان، وكتاب علوم المعاملة، وكتاب عمدة العباد، وكتاب بستان الدعاء، وكتاب قواعد الصلاة، وكتاب أقسام الدين، وكتاب ترغيب عباد الله في حفظ علوم دين الله، وكتاب حقيقة الإيمان والإسلام، وكتاب إقتباس العلم، وغيرها.

ومنها مصانفه في فروع الباطنة في فن التصوف للتخلق والتحقق ككتاب نور الأولياء، وكتاب طريق الجنة، وكتاب السلاسل الذهبية، وكتاب الرياضة السالكين، وكتاب أصول الولاية، وكتاب التصوف، وكتاب السلاسل القادرية، وكتاب تلخيص كتاب الحارث المحاسبى، وكتاب سوق الصديقين، وكتاب جميع الخصائص، وكتاب تبشير الإمة الأحمدية، وكتاب الترفة بين التصوف للتخلق وبين التصوف للتحقق، وغيرها.

ومنها مصانفه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكرات وإزالة البدعة والعادات المهلكات ككتاب عدد الداعي، وكتاب حكم الجهال بلاد الحوس، وكتاب عمدة دعوة العباد إلى كتاب الله، وكتاب كف الطالبين عن تكفير عوام المسلمين، وكتاب أمر بالمعروف، وكتاب أجوبة المحررة، وكتاب بيان البدعة الشيطانية، وكتاب نور الأبواب، وكتاب تنبيه الأفهام، وكتاب تحذير الإخوان، وغيرها.

ومنها مصانفه في سياسة الأمة وإزالة مشكلات الإجتماعية ككتاب الأمر بموالاتة المؤمنين، وكتاب تمييز المسلمين من الكافرين، وكتاب بيان وجوب الهجرة على العباد، وكتاب تمييز أهل السنة، وكتاب تنبيه الإخوان، وكتاب نصائح الأمة المحمدية، وكتاب الفصل الأول، وكتاب أصول العدل، وكتاب تنبيه الحكام، وكتاب الفرق بين ولاية الإسلام وبين ولاية الكفر، وكتاب المسائل المهمة، وكتاب الجهاد، وكتاب وثيقة إلى أهل السودان، وغيرها.

ومنها مصانفه في أسانيده وسلسلاته في قراءة القرآن وكتب الأحاديث والتفسير وأصول الفقہ والفقہ والمذاهب الأربع واللغة والنحو والعروض والبيان والأورد والأحزاب وغيرها ككتاب أسانيد الضعيف، وكتاب أسانيد الفقير، وغيرها.

ومنها مصانفه في أوراده وأحزابه مخصصة به ككتاب الورد وكتاب الدلائل وكتاب الحرز وكتاب المناجات وكتاب الدعاء وكتاب دائرة العونية وكتاب إسم الله الأعظم وكتاب حزب الفداء وغيرها مما نف على مائة مؤلف، كما ذكر السلطان محمد بل وغيره، فكان كتب الشيخ عثمان بن فودي نافعا جدا لأهل زمانه ولأهل زماننا هذا، كما أبين لكم إن شاء الله تعالى.

ومنها مصانفه في أمر الساعة وعلامات آخر الزمان وأشراتها ككتاب الخبر الهادي إلى أمور المهدي ينحصر في بيان عشرة أمور من أموره رضي الله تعالى عنه، وكتاب المحذورات من علامات خروج المهدي ويخبر فيه بعشر شروط في أمر خروجه، وذكر فيه أسرار في خروجه رضي الله تعالى عنه، وكتاب مدة الدنيا وبين فيه بخمسة أمور، وكتاب الأمر الساعة وينحصر في مقدمة وسبعة مطالب، وكتاب تحذير الإخوان من إدعاء المهدي وفيه إنكاره على الذين يزعموا إن الشيخ عثمان هو المهدي ورده على الذين إدعاء المهدي، وكتاب تنبيه الأمة على قرب هجوم أشرط الساعة وأودع فيه عشرة فصول في أمر الساعة وعلامات آخر الزمان وأشرطها خاصة في أمر ظهور المهدي في آخر الزمان.

مناسبة الشيخ وتشابهه بالمهدي المنتظر

ففي هذا المجال كان للشيخ عثمان بن فودي مناسبة مخصوصة لا توجد في غيره من المجددين، فكما كان له تشابه برسول الله صلى الله عليه وسلم كما ذكرناه فإن له كذلك تشابه بخاتمة الأولياء المحمدية الذي هو الإمام المهدي الموعود في آخر الزمان، فالشيخ عثمان بن فودي رحمة الله عليه هو من أواخر المظهر لقوله عليه الصلاة والسلام: ((أعهد إليكم أن تتقوا الله وتلزموا سنتي وسنة الخلفاء الهادية المهديّة فعصوا عليها بالنواجز وإن استعمل عليكم عبد حبشي فاسمعوا له وأطيعوا فإن كل بدعة ضلالة))، وهو أيضا من أواخر التجلي لقوله عليه الصلاة والسلام: ((رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَى خُلَفَائِي)) قِيلَ: "وَمَا خُلَفَاؤُكَ؟" قَالَ: ((الَّذِينَ يُحِثُّنَ سُنَّتِي وَيَعْلَمُونَهَا النَّاسَ، مَنْ أَحْيَا سُنَّتِي فَقَدْ أَحْيَانِي وَمَنْ أَحْيَانِي كَانَ مَعِيَ فِي الْجَنَّةِ))، فكان الشيخ عثمان بن فودي الحادي عشر من الخلفاء الراشدين المهديين الذين يُعتدّ بهم باطنا وظاهرا الجامعين بين مرتبتي العلم والولاية الفائزين بالسيادة الباطنية والسياسة الظاهرية، وهو مجدد الدين في قرن الثانية عشر، فلا يوصل أو يجاوز مقامه بعده في التجديد والولاية والعلم والجهاد وملك الإسلام في الظاهر وإمارة القبطانية في الباطن والمعارفة والمقامات الإلهية إلا المهدي، فكانت هذه الحقيقة سبب قوله رحمه الله: "لا يكون بيني وبين المهدي مجددا إلا وهو غاب"، أي ما من الله إلي الشيخ في جمع بين المقام في السيادة الباطنية وبين الخلافة الظاهرية لا حُصِلَ لأحد بعده من العارفين حتى يقوم المهدي المنتظر الذي هو خاتم الخلفاء الراشدين المهديين وخاتم الأولياء المحمدية في آخر الزمان، ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

وفي ذلك ذكر الشيخ رحمه الله تعالى في إتمام قصيدته الفلاتية المذكورة إسمها في العربية المناسبة، فوصف فيه ارتباط واتصال بينه وبين المهدي وتشابه بينهما فهذه مناسبة تميزهما من سائر المجددين في الإسلام، فقال فيه: "مُحَكَّمًا مُنَاسَبَ بُؤْمَمَهْدِي * مِيتِيَّ اللَّهُ دُونُكُمْ دُكْرَامَ"، أي إنني أُعْطِيتُ الحُكْمَ في مُنَاسَبَ بِالْمَهْدِي، وَأَحْمَدُ اللَّهُ وَأَشْكُرُهُ مِمَّا أُعْطِيتُ، وَقَالَ: "مِيعَتُكُمْ غَنَمٌ يَنْبِغُ اللَّهُ * وَنَاعَمَ سَمْبِدْنُغُ كُكْبَانَامَ"، أي لأعلن أي لأحدث مناسبتي بالمهدي شكرا لله لا من قدرة لي بلغت إلى ما أُعْطِيتُ، وَقَالَ: "أَسْبِيرِيَامُ كَنْكَبُ يَسُوغَرْدَكَ * مِيتِيَّ اللَّهُ مِيبُ دَسِيرَامَ"، أي إنه أيضا بشر بمجيئة قبل ظهوره، وأشكر الله بأنني أيضا بمجيئتي بشرتُ، وَقَالَ: "زَمَانُ مَعْنُ يُدْمُ زَمْنُو مُمَهْدُ * مِيتِيَّ اللَّهُ دُونُنْ غَدِيَامَ"، أي زماننا زمن المهدي، وأشكر الله لأنني في هذه الأزمنة بعثتُ، فعنَى بقوله: "زمن المهديّة" أي المجددية لأن كل المجدد مهدي زمانه، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم كما رواه أبو داوود والبيهقي وغيرهما عن أبي هريرة: ((إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها

دينها))، فإن المجدد أقام في كل عصر من يحوط هذه الأمة بتشييد أركانها وتأييد سننها وتبيينها، فلا شك إن الشيخ عثمان بن فودي كذلك، أو معناه بزمن المهديّة أي زمن إقامة الدين تحت لواء الخلافة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في رواية أحمد وأبي داود والترمذي وابن ماجه وغيرهم عن العرياض بن سارية: ((أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن أمر عليكم عبد حبشي فإنه من يمشي منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة))، فليس المراد بسنة الخلفاء المهديين الراشدين إلا طريقتهم الموافقة لطريقته صلى الله عليه وسلم من جهاد الأعداء وتقوية شعائر الدين ونحوها، فلا شك إن الشيخ رحمه الله كذلك.

وقال فيها: "لطيف غتيد مهدي نكح برنا * ميتي الله كنجم برنيام"، أي إن المهدي ملبس بالنبالة اللطيفة أي مكارم الأخلاق، واشكر الله لأنني بها لابتست، وقال: "المنتاك ما فتاج بنغي * ميتي الله دوني لمنام"، أي إنه يعين لأمره في ظهور الفتن، واشكر الله فيها لأمري قد عيتت، وقال: "أورنتناك ما توجنغج دودي * ميتي الله دوني غرتنام"، أي إنه لا يظهر أي المهدي إلا بعد كثرت الطغاة، واشكر الله بأنني في ذلك فترة قد ظهرت، وقال: "جدر فترا مدين أمنيتي * ميتي الله دومب لمنام" أي في فترة انحدر الدين يقوم المهدي، واشكر الله في فترة كمثلته قمت، وقال: "كمهدي أندرا بر فاطمي * ميتي الله كنجم فلنام" أي أن سمة المهدي محتده من فاطمة، واشكر الله بأن قيل من ذلك المحدث بتقت، وقال: "كمهدي أندرا لا ببيع أندل * ميتي الله كنديم فلنام"، أي أن سمة المهدي يطهره التتقف وإقتباس العلم، واشكر الله بأن التتقف قد طهرت، وقال: "كمهدي أندرا دفيغ دنيا * ميتي الله ميمب ددغنام"، أي أن سمة المهدي زهده من الدنيا، واشكر الله بأن منها قد زهدت، وقال: "كمهدي أندرا براغ راي * ميتي الله ميمب ديرنام"، أي أن سمة المهدي أمانة رأيه، واشكر الله إن في ثقة الرأي قد ثبتت، وقال: "كمهدي أندرا العاد دجي * ميتي الله دودم دجنام" أي أن سمة المهدي إسقاطه العادة الباطلة، واشكر الله في ذلك قد اسقطت، وقال: "كمهدي أندرا بدعاك مائيني * ميتي الله دودم مينام"، أي أن سمة المهدي أماته البدعة، واشكر الله لذلك قد هدمت، وقال: "كمهدي أندرا ندبيغ دينا * ميتي الله دودم أندنام"، أي أن سمة المهدي ندائه للدين، واشكر الله بأن لهذا كان نديت، وقال: "كمهدي أندرا ندبيغ تعتي * ميتي الله ميمب ددغنام"، أي أن سمة المهدي إن ندائه مجيب، واشكر الله كان ندائي أحببت، وقال: "كمهدي أندرا قران جنغني * ميتي الله كنجم شكرام"، أي أن سمة المهدي تدارس القرآن، واشكر الله بأن بذلك إهتمامت، وقال: "كمهدي أندرا يدنغ سنا * ميتي الله دودون غدنام"، أي أن سمة المهدي إحيائه السنة، واشكر الله بأنها قد أحبيت.

وقال فيها: "كمهدي أندرا نغرتيغ غك * ميتي الله دودو نترنعام"، أي أن سمة المهدي كفايته، واشكر الله بأن كفوا قد كنت، وقال: "كمهدي أندرا ب يحد ياد * ميتي الله ميمب دفنديام"، أي أن سمة المهدي درابة النفس واشكر الله بأن نفسي قد دربت، وقال: "كمهدي أندرا يعنار سندي * ميتي الله ميمب ددغنام"، أي أن سمة المهدي تشجيعه حسن الظن، واشكر الله بأن لذلك شجعت، وقال: "كمهدي أندرا للرع خير * ميتي الله دودر للنام"، أي أن سمة المهدي صيته للخير، واشكر الله بذلك صيتي قد أثبت، وقال: "كمهدي أندرا عدلاك كيت * ميتي الله كنجم كيتنام" أي أن سمة المهدي عدالة حكمه، واشكر الله على هذه السمة حكمت، وقال: "كمهدي أندرا ب يكد ب نفي * ميتي الله ميمب دكدينام"، أي أن سمة المهدي ملاينة سجيته، واشكر الله بأن في سجيته قد لينت، وقال: "كمهدي أندرا يسبوج جولب * ميتي الله ميمب دشيريام" أي أن سمة المهدي إنه يكون منع السرور للمسلمين، واشكر الله

بأنني لهم قد فرحتُ، وقال: "كُمَهْدِي أَنْدِرَا جَوْلِبِ يُتْدِي * مِيَّتِي اللَّهُ مِيْمَبُ دِنْدَوَام"، أي أن سمة المهدي إنه مسبب المهابة للمسلمين، واشكر الله بأنني للمسلمين مهابة، وقال: "كُمَهْدِي أَنْدِرَا لَامَادُ دِينَا * مِيَّتِي اللَّهُ دُونُ لَمَنَام"، أي أن سمة المهدي إنه منصب أمير المؤمنين، واشكر الله أن لذلك قد نصبتُ، وقال: "كُمَهْدِي أَنْدِرَا سَلِيْبِ كِرْسِي * مِيَّتِي اللَّهُ دُوبُ بِكِرْسِنَام"، أي أن سمة المهدي إنه يقاتل الكافرين، واشكر الله فيمن قتلتُ، وقال: "كُمَهْدِي أَنْدِرَا فَجِيْبِ دُجِي * مِيَّتِي اللَّهُ دُوبُ بِدَجْمَام"، أي أن سمة المهدي إسقاطه قاطعين الطريق، واشكر الله لمن كذلك منهم قد إسقطتُ، وقال: "كُمَهْدِي أَنْدِرَا يُوْدَنُ جِهَاد * مِيَّتِي اللَّهُ مِيْمَبُ دُونِ بَدَام"، أي أن سمة المهدي إقامته الجهاد، واشكر الله بأن بذلك قد أمرتُ، وقال: "كُمَهْدِي أَنْدِرَا نَصْرَا كُ بُرْنَا * مِيَّتِي اللَّهُ دُوْفَنُ بُرْنِيَام"، أي أن سمة المهدي إنه ملابسته بالنصر، واشكر الله فإن بذلك لا بستُ، وقال: "كُمَهْدِي أَنْدِرَا تُوْتَا جُحْد * مِيَّتِي اللَّهُ دُوْمِيْنُ شُغْرَام"، أي أن سمة المهدي إن معه الرايات، واشكر الله بأن لذلك إنقادتُ، وقال: "كُدِي بِنْدَابُ سَعْفِ اللَّهِ جِيْدُم * مِيَّتِي اللَّهُ كَنَجْمُ بِنْدَنَام"، أي فمكتوب عليهم "لا إله إلا الله"، واشكر الله لأن هكذا على راياتي حررتُ، وقال: "كُمَهْدِي أَنْدِرَا فُوْفَتْنُ جَوْلِبِ * مِيَّتِي اللَّهُ مِيْمَبُ فُوْفَرَام"، أي أن سمة المهدي وفائه بوعده، واشكر الله بأن بوعدي قد وفيتُ، وقال: "كُمَهْدِي أَنْدِرَا وَلُوْبِغُ فَنَّا * مِيَّتِي اللَّهُ مِيْمَبُ دِفْتَنَام" أي أن سمة المهدي إراحته نصيب المسلمين، واشكر الله هكذا نصيبهم قد استراحتُ، وقال: "كُمَهْدِي أَنْدِرَا يُدْعَاغُ * مِيَّتِي اللَّهُ مِيْمَبُ دَجَابِيَام"، أي أن سمة المهدي مستجابة دعائه، واشكر الله بأنني كذلك أستجبتُ، وقال: "مِلَا تَاكِي مِمَهْدِ كِدْتِيَادُ * يُدْمُ تَفُوْجِ مَعَكُنِ بُرْنِيَام"، أي إنني لستُ بالمهدي، لكنه رداؤه لقد به لبستُ، وقال: "مِيْنِكْرُ يَايِ مِمَهْدِي غَعُ زَمَانُ * مِيَّتِي اللَّهُ مِيْمَبُ دِدُكْرَام"، أي لا أنكر بأنني مهديا لهذا الزمان، واشكر الله لهذا الإمتياز قد أعطيتُ، وقال: "زَمَانُ فُكَا يُعَدَّرُ نَاغُ مَهْدِي * شَهَادَ حَغِيْبُ ثُوَامُ تَسِيْمُنِيَام"، أي لكل الزمان يخص بالمهدي، مشاهدا أو غيبا هكذا علمتُ، وقال: "مُدُوْدُ جُوُوْدِ مَهْدِي كِدْتِيَادُ * يُدْمُ وَدَتَانْدِمُ نِنْدَنَام"، أي وفي كون المهدي المنتظر أنا مؤكّد لذا، اطلعتُ على الذي شُبّهتُ، وقال: "مِيَّتِي اللَّهُ يَمِرْتِنَا سَبُوْج * بُ تَمَّ شَرَكْدِ مُفْرُنُ إِمَام"، أي اشكر الله لقصيدتي في المناسبة، فتمتها سنة ألف ومائتين وأربعة وعشرين من فرار الإمام أي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وقال: "مِسْلَمِيْنِي مُحَمَّدُ أَرْدُ دُجَوْلِي * مَنَاسَبَ مَعَكُ أَرْدِ مَعْمُ أَرَام"، أي تمتها مسلما على محمد الذي أريج، المناسبة برائحته قد أطيبتُ.

فبان من هذه القصيدة المباركة إن بركة الشيخ عثمان بن فودي رحمة الله عليه متواصلة مستمرة مترابطة بالأمام المهدي، وفي ذلك النطاق قال السلطان محمد بل إذا ارسله الشيخ إلى بعض بلاد الشرق برسالة كما ذكره في انفاق الميسور: "وأخبرتهم بما بشرهم به من قرب ظهور المهدي، وأن جماعة الشيخ طلائع، ولا ينقضني بإذن الله هذا الجهاد حتى يفضي إلى المهدي"، وفي ذلك أيضا قال السلطان أبو بكر بن الشيخ عثمان في رسالته: "فقد أخبرني الشيخ مشافهة أن جماعة الرباط أهل السودان ينتقلون إلى بحر النيل وإلى بلاد الحجاز بعينهم أو ذريتهم وهم بقية أهل الشيخ وفيهم نوره وبركة وهم الذين يجتمعون بالإمام المهدي ويباعون، ومعهم رايات الشيخ ومقامهم عند الله عظيم"، وقال أيضا الشيخ العارف محمد مَأَلَّه بِطِ بن عبد القادر بن مصطفى: "أما مبدئه (أي الشيخ) فالدعوة ثم التعليم ثم الجهاد، وهو مشروط بالخلافة والإمارة النائية، وأما سره فاللطيفة الجاذبة وهي حَلَّةُ المهدي، وإن تباينا حضرة فقد اتفقا قوة وحضرة والأعوان الروحانيون كالملائكة في ذلك، واتصال هذه الجهاد بأمر المهدي عليه السلام منقول عن الشيخ رضي الله تعالى عنه"، وقد سئلتُ سيدي الشيخ محمد الأمين بن آدم عن معنى قول الشيخ أن جهاده لا ينقضى حتى يفضى إلى المهدي لأن الجهاد الآن لا يقوم بجماعته في

السودان والنيجير والنيجيرية ولا في أي مكان الذي فيه جماعته، فكيف يبقى جهاد الشيخ إلى ظهور المهدي؟ فقال لي: "إن جهاده بدأ باللسان وهو دعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتعليم، ثم بالقلم وهو إنتشار العلوم النافع بتصنيف المصانفات، ثم بالسيف وهو بإقامة الدين وإثبات الخلافة الإسلامية، فقد رجعنا الآن إلى مبدأ جهاد الشيخ وهو باللسان والقلم فلا ينقضاه حتى ظهور المهدي الذي هو صاحب السيف"، وحدثنا في ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّ الْمَجَاهِدَ مُجَاهِدٌ بِسَيْفِهِ وَلِسَانِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَكَأَنَّما تَرْمُونَهُمْ بِهِ نَضْحُ النَّبْلِ)). وفي سنة 1232 هجرية [حول 1816 الميلادي] أبتدأ بالشيخ مرضه الذي توفي منه، وفيها وقع أمر غَاغِرٍ وما جرى من ذلك، وفي شهر محرم سنة 1232 هجرية كانت غزوة بَنَاعُ، فبیت الكفار الجيش ليلاً، فأنهزم فأرتد خائباً، وفيها سار الجيش إلى بَلْعَا فَأَنتَهَزَمَ ورجع، وفيها غزا محمد البخاري بن الشيخ في السواقل، ففتح وغنم، و يوم الأحد 3 جمادي الآخرة في سنة 1232 هجرية [حول 20 أبريل سنة 1817 الميلادي] توفي نور الزمان مجدد الدين أمير المؤمنين إمام الأولياء سيف الحق الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله تعالى ونور ضريحه، وأفادنا من بركاته، وكان عمره إذاً ثلاثة وستون سنين كعدد سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حين توفي، فالحمد لله والشكر له الذي يشابهه الشيخ رحمة الله عليه برسول الله صلى الله عليه وسلم في موته كما يشابهه به في طول حياته، فحمد الله شكرا له في ما مننا بهذا النعمة فينا من أحد من أجدادنا، فنحمده به كل عام وكل شهر وكل يوم وكل ليلة وكل ساعة وكل لمحة، ونقول كما قال شيخنا تغمده الله في رحمته:

نَحْمَدُ اللَّهَ وَقَتْنَا وَقَتُّنَا نُورٍ * وَقَتُّ كَشْفِ الظَّلامِ لِلْعَالَمِينَ
نَحْمَدُ اللَّهَ وَقَتْنَا وَقَتُّ نَصْرِ * وَقَتُّ خِذْلَانِ جُمْلَةِ الكَافِرِينَ
نَحْمَدُ اللَّهَ وَقَتْنَا وَقَتُّ عِزِّ * وَقَتُّ فَرِحِ لَجْمَلَةِ المُسْلِمِينَ
نَحْمَدُ اللَّهَ حِزْبِيًّا حِزْبُ عَبْدِ * القَادِرِ العَوْتِ سَيِّدِ العَارِفِينَ
نَحْمَدُ اللَّهَ وَقَتْنَا وَقَتُّ أَحِبَاءِ * السَّبِيلِ لِسَيِّدِ المُرْسَلِينَ

وَأَقُولُ مَلْحَقًا بِأَبِيَّاتِهِ مَتَبَرَكًا بِبِرْكَتِهِ مَتَوَسَّلًا بِكِرَمَاتِهِ

نَحْمَدُ اللَّهَ ثَلَاثًا ثَلَاثَةَ سِنِينَ * الحَقِّ عَثْمَانَ سَيِّدَ المُجَدِّدِينَ
نَحْمَدُ اللَّهَ نَفَرًا طَلِيْعَةً * لِلْمَهْدِيِّ سَيِّدِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ
نَحْمَدُ اللَّهَ وَرَدُّنَا صَلَاةً * دَائِمًا عَلَى مُحَمَّدٍ خَاتِمِ النَّبِيِّينَ
نَحْمَدُ اللَّهَ سَلُوكُنَا أَخْلَاقَ * الَّذِي أُرْسِلَ ﴿رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾
نَحْمَدُ اللَّهَ وَآخِرُ دَعْوَانَا * ﴿إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾

فمن آداب الحمد والشكر أن يشكر لأسبابه كالنبي والوالدي والشيوخ بطاعة لهم وإتباع بهم، ففي هذا المعنى أن من أخذ من أي أوراده وأحزابه أو دخل في سلسلة من سلسلاته أو يتمسك بكتبه ومنهجه أو يدخل تحت بيعته من خلفائه أو تحت عهده من شيوخ طريفته فهو النجاة في الدنيا والآخرة، لا سيما من يدرس وتبحر في كتبه في هذه الأزمنة، فكل مشكلات وفتن وبدعة ومصيبة التي وقعت في زماننا هذه فوجدت حلها وإبراتها في كتبه وكتب العلماء من أنصاره وأصحابه وأولاده وأسباطه، وقال في نجم الإخوان: "اشتغلوا بقراءة تولى أخی عبد الله لأنه مشتغل غالباً بحفظ ظاهر الشريعة، واشتغلوا بقراءة تولى ولدي محمد بل، لأنه مشتغل غالباً بحفظ علم سياسة الأمة بحسب الأشخاص والمقاصد والأزمان والأمكنة والأحوال، واشتغلوا أيضاً بقراءة تولى في، لأني

مشتغل بحفظ الطرفين غالبا، وتواليفنا كلها تفصيل لما أجمل في تواليف العلماء المتقدمين، وتواليف العلماء المتقدمين تفصيل لما أجمل في الكتاب والسنة". فمن هذا يثبت أن منهجه وبركته وتجديده لا ينقطع حتى ظهور الإمام المهدي، فمنهج الشيخ عثمان بن فودي طليعة منهج المهدي الذي هو بيان الكتاب والسنة كما هما كانا في الحقيقة وإيضاح أقوال علماء السنة المتقدمة وإيقان سلوك أهل الحقيقة.

سوق الأمة إلى إتباع السنة

قبل أن أبدأ بذكر فضائل هذا الكتاب المبارك، أريد أن أبين مقصودي في شرحه أولا وأذكر أسلوب شرحي وكذلك اذكر منظر الشيخ عثمان بن فودي في إختلاف علماء الإسلام، فاعلم إن مساعدة الله للعباد بقدر النيات، فإذا خلص النية في كل الأعمال يكفي قليل العمل، فقد ورد في جميع روايات الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَّا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ))، فإن هذا الحديث أصل من أصول دين الإسلام، ويثبت به أن جميع أعمال الإنسان صغيرها وكبيرها ودقيقها وجليلها يحكم بالمقاصد في بداياتها، فقد أوضح ذلك ابن الحاج على النمط الباهر في مدخله المشهور حتى لو فعل المرء الفعل الواحد فيمكن ينوي فيه مقاصدا متعددا، فبذلك يتمدد خير فعله حتى يحاط جميع منفعات في نيته المتعددة، فبهذا المعنى يعلم أن أعظم الناس منزلة وأكثرهم خيرا وبركة الواقف مع نيتهم.

كما أذكر في بداية الشرح: "وضعت هذا الشهر لإظهار ما أقتبسته من أسرار كتابه القدسية وفتحات الربانية متضمن في التزام بالسنة المحمدية وانتشار بركاتها السنية ونعماتها الغمرية"، فاعني به أن مقصودي فيه أولا أن يخدم حرمة شيعي الشيخ عثمان بن فودي، تغمده الله في رحمته، لأنه واجب على كل المريد الصادق يخدم شيخه، ففي تحرير الشرح على سوق الأمة خدمة له بانتشار إلى الناس العلم النافع الذي ورثنا منه، فقد ثبت في الحديث أنه إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث وهي علم ينتفع به أو صدقة جارية أو ولد صالح يدعو له، فمقصودي في الشرح على سوق الأمة ليحصل على هذه الثلاثة الخيرات ليوصل هذه المنفعات إلى الشيخ رحمه الله في ضريحه ونشوره وفي كل المنازل بعده حتى يرى وجه ربه في الأعلى الفردوس، وثانيا قد يثبت في منهج الشيخ قاعدة مهمة وذلك أن في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيلة جازمة يفوز بها فتوحا من الله تعالى ومعارفاته كما ينبغي له، وذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكمل ومحبوب من جميع خلق الله ومعارفاته هي أكمل المعارف، فمن هذا التزام بسنته صلى الله عليه وسلم بقصد معارفات الله هو أعلى وأشرف الطريق إلى الله تعالى، فقد صرح الشيخ بذلك في قصائده الفلاني أنه قد ذاب به حب سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا خير له إلا في إتباعها، وأن اعظم وظيفته انغماس في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن السنة هي رُوْدُهُ الذي به نال الفتح من الله تعالى ومعارفاته، فنييتي في الشرح على سوق الأمة لأبين ذلك الحقيقة لمن نور الله بصيرته، ثالثا فإنه في الحقيقة لا واجب علي أحد كمثل في قلة العلم أدرَسَ أحدا لأني لست فارسا في مجال العلم الذي فرض عليه انتشر علمه إلى العالم، بل ما عليّ إلا تبليغ العلم النافع الذي علمت إلى عشيرتي وأقربائي كأهلي وأولادي وشقائقي والدي، فهذا فرض عليّ، فلذلك نييتي في الشرح على سوق الأمة لأعلم عشيرتي قواعد الدين كما بانها في السنة الحياتي للحبيينا محمد نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم، وفي لذلك أهم

شأنني كما ذكرت في إهداء الكتاب أولادي الف عمر ومؤدب محمد وأحمد مازن والشيخ عثمان وعبد الرحمن وانا تسنيم وفاطومة مؤنن وموسى جكل، بأنهم يعرفون دينهم من جهة السنة الحياتي لمحمد صلى الله عليه وسلم، ورابعا مقصودي فيه لإحياء وإصلاح أعلى وأقى الهيئات لإرث الإفريقية الإسلامية وثقافتها التي سلبت من جماهير المسلمين في نصف الكرة الغربي الذين هم من ذريات المسلمين السودانيين المخطوفين والمسترقين من أوطانهم الإسلامية وإرثهم الثقافية، فإن سوق الأمة هو النصيب من الأنوار المحمدية أوصيت بها من أجدادنا المسلمين، فلذلك اهتمام بالسنة الحياتي من مشهد أجدادنا الصالحين هو كصلة الرحم، بل إن الشيخ عثمان رحمة الله عليه قال: "أنه واجب ولازم لكل المؤمن المعقول لاتباع آثار أسلافهم المؤمنين واقتد بطريق أجدادهم الصالحين وامتنال بهم"، فلذلك كانت سياسة سرية متطور للولايات المتحدة الأميركية أن تكون المسلمين الإفريقية الأميركية إنقطاعا تماما من إخوانهم المسلمين في إفريقية، فلذلك مقصودي في الشرح على سوق الأمة أتصل ذريات المسلمين السودانيين المسترقين، الذين هم أسرع السكاني المسلمين مزدهرا في العالم اليوم، إلى الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وسنته من جهة أجدادهم الصالحين، الذين كانوا ينقطع منهم روحانية وعقلية وثقافية وسياسية واقتصادية منذ قرون كثير، وأخيرا إن مقصودي في الشرح على سوق الأمة لأكون متضمن في بركة التي غرس الشيخ عثمان بن فودي في هذا الكتاب من دعوته الشاملة حيث قال: "فَأَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَجْعَلَهُ خَالِصًا لَوَجْهِهِ الْكَرِيمِ وَأَنْ يَجْعَلَهُ حُجَّةً لَنَا لَا عَلَيْنَا وَأَنْ يُرِينَا بَرَكَتَهُ يَوْمَ الْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَحِينَ حُلُولِ الْإِنْسَانِ فِي رَمْسِهِ وَأَنْ يَنْفَعَهُ بِهِ مَنْ قَرَأَهُ أَوْ طَالَعَهُ أَوْ كَتَبَهُ أَوْ حَضَّ عَلَيْهِ وَأَنَا أَطْلُبُ مِمَّنْ وَقَفَ عَلَيْهِ وَانْتَفَعَ بِهِ أَنْ يُشَارِكَنِي بِدَعْوَةٍ صَالِحَةٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ"، فهذه المقاصد هي نياتي في الشرح وسميته **تَوْقِ النَّعْمَةِ وَإِتِمَامِ النِّعْمَةِ فِي شَرْحِ عَلَى سَوْقِ الْأُمَّةِ إِلَى إِتْبَاعِ السُّنَّةِ**، وأسأل الله تعالى أن أرني مقاصدي وتمام نياتي، لأن كل الأعمال بالنيات وغاية النهايات متضمنة في مقاصدها في البدايات.

وأما منهجي في الشرح فقد كتبت في حاشية الكتاب بتمام النسخ مندرج فيه، فهو الشرح الممزوج تمزج فيه عبارة المتن والشرح، فميزت المتن من الشرح بعبارة قولي: "ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم" في حق قول رسول الله عليه السلام، أو بقولي: "ومعنى قوله رضي الله عنه" في حق قول الصحابي، أو بقولي: "ومعنى قولها رضي الله عنها" في حق قول الصحابية، وقد أوردت فيه ما اقتبست من الشروح على الصحاح الأحاديث كمثل فتح الباري للإمام لابن حجر العسقلاني وشرح الصحيح البخاري للإمام ابن بطال المغربي المالكي وعمدة القاري للإمام محمود بن أحمد العيني، وشرح الصحيح مسلم للإمام ابن شرف النووي، والإكمال في شرح مسلم للقاضي عياض بن موسى المالكي، وحاشية على سنن النسائي للإمام أبي الحسن السندي، وعارضة الأحوذ في شرح الترمذي للحافظ ابن العربي المالكي، والعرف الشذي على جامع الترمذي للمجدد ابن رسلان البلقيني، وغيرها من الشروح، ومع ذلك اقتطفت من بعض الكتب الفقهية من مذاهب الأئمة المجتهدين لأن هذا كان منهج الشيخ رحمة الله عليه في أصوله كما يأتي، وعتمدت غالبا في المسائل على عمدة البيان في العلوم التي واجبت على العيان للشيخ عثمان بن فودي وكتابه مرآة الطلاب وضياء علوم الدين لعلامة السودان الشيخ عبد الله بن فودي، وإذا حددت على معنى الكلمات رجعت غالبا إلى لسان العرب المشهور لابن المنطور الإفريقي، وإذا ذكرت فيه من الآية القرآنية واراقت تفسيرها ذكرت ما فسر به الشيخ عبد الله بن فودي المذكور في ضياء التأويل من معنى التنزيل، فمن أدنى شرحي إلى أقصاه أتيت على ذكر كتب الشيخ عثمان بن فودي، وشقيقه الشيخ عبد الله بن فودي

وولده السلطان محمد بل بن عثمان بن فودي رحمهم الله تعالى ثم من سائر كتب العلماء من جماعتنا، لأنه منهجي وسلوكي على التبصر في علوم الدين كما أمرنا الشيخ رحمه الله تعالى، وبعد ذلك أوردت في الشرح مما أخذت من شيوخ من العلوم والبركة جزائهم الله خيرا ويزيدهم يقينا وهدى وسرا في الدنيا والآخرة، وأخيرا، في ذكر رواة الأحاديث ذكرت نبذة في سيرهم وكنياتهم وأسمائهم وأنسابهم مع ذكر فضائلهم، وقصدي في ذلك لينقع في الشرح ببركة ورحمة، لأن قد ورد إن تنزل الرحمة عند ذكر الصالحين، وما كانوا القرون أفضل في الصلاح من الذين صحبوا أفضل الخلق عليه السلام وحفظوا سننه ونقلوها إلى تابعيهم رضي الله تعالى عنهم.

وأما منظر الشيخ عثمان بن فودي في إختلاف علماء الإسلام ففي هذا المجال كان مدار منهجه لأنه كان مقيدا على إن دين الإسلام يسر، ويعتقد أن جميع مذاهب المجتهدين صوابا وطريقا إلى الجنة، وحجته في ذلك قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ ودليله من السنة حديثان رواهما البخاري في صحيحه، وهما قوله عليه السلام: ((إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحدا إلا غلبه، فسددوا وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة، وشيء من الدلجة))، وقوله عليه السلام: ((يسروا ولا تعسروا، وأبشروا ولا تنفروا))، فقال الشيخ رحمه الله في نجم الإخوان: "وقال عبد العزيز في الدرر الملتقطة: "من كرم الله تعالى أن العلماء مختلفون، فإذا شدد هذا سهل غيره، ودين الله يسر، ومن قوى علمه وصحت معرفته شدد على نفسه وسهل على الناس"، وقال رويم: "من حكم الحكيم أن يوسع على إخوانه في الأحكام، ويضيق على نفسه فيها، فإن التوسعة إتباع العلم والتضييق على نفسك من حكم الورع"، وقال الشيخ أبو إسحاق الشاطبي: "الأولى عندي في كل نازلة أن يكون لعلماء المذهب فيها قولان، فيعمل الناس على موافقة أحدهما وإن كان مرجوحا ألا يعترض عليهم، وأن يجروا على أنهم قلدوه في الزمان الأول، وجرى به العمل فإنهم إن حملوا على غير ذلك كان فيه تشويش للعامة وفتح لباب الخصام"، وقال عبد الوهاب الشعراني في البواقيت: "سمعت سيدي عليا الخواصي رحمه الله يقول: اعملوا على الجمع بين أقوال العلماء جهدكم، فإن أعمال القولين أولى من إلغاء أحدهما، وبذلك يقل تناقض أقوال العلماء، ومن وصل مقام الكشف وجد جميع الأئمة المجتهدين لم يخرجوا عن الكتاب والسنة في شيء من أقوالهم، وشهدا كلها مقتبسة من شعاع نور الشريعة، لأنهم على آثار الرسل سلكوا فكما أنه يجب عليك يا أخی الإيمان والتصديق بكل ما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام مما يخالف شريعتك ظاهرا، فكذلك يجب عليك الإيمان والتصديق بصحة ما استنبطه المجتهدون، وإن خالف مذهب إمامك"، وفي ذلك المعنى كان سبب في تصنف الشيخ كتبه كمرآة الطلاب وعمدة العلماء وهذا الكتاب المبارك بين يديك.

فاتقق العلماء والصالحون في عصر الشيخ رحمة الله عليه والذين بعده على أن كتاب سوق الأمة إلى إتباع السنة واحد من ثلاث كتب يدل على أنه بلغ رتبة الإجتهدية، هذا لأنه الكتاب المصدر لمذاهب المجتهدين في إجتهدهم وإستنباطهم بعتبار أحاديث السنة، فلم ذهبوا المجتهدون في مسائل العبادات والمعاملات إلا وأُجدت أصل رأيهم مندرج في الأحاديث الصحاح التي سجله الشيخ رحمة الله عليه في هذا الكتاب المبارك، فقال لي بعض شيوخي: "إن كتاب سوق الأمة بنسب فروض العيان متساو الموطأ لإمام مالك بن أنس ومرجع للرسالة ابن أبي زيد أو المختصر لخليل بن إسحاق"، هذا لأنه يثبت فيه أصح الروايات عن صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم علي الترتيب هذه الكتب، فهو المختصر في الحديث، كمثل بلوغ المرام، والعمدة، والمنتقى.

فاعلم كان الشيخ رحمة الله عليه إماما في علم الحديث وفقهه وأحكامه ورجاله وفنونه، فأخذ هذا العلم من أصح الطرق ومن اعلى الروايات، فتبحر في علم شرح الحديث وعلم أحوال رواة الأحاديث، وعلم ناسخ الحديث ومنسوخه، وعلم أسباب ورود الحديث وأزمته، وله حسن الاطلاع في علم تأويل أقوال النبي عليه الصلاة والسلام، وعلم تفتيق الأحاديث، وعلم رموز الحديث وإشارات، وعلم غرائب لغات الحديث، وعلم دفع الطعن عن الحديث، فذكر الشيخ عبد الله الكشنوي في دائرات الشيخ أن للشيخ رحمة الله عليه أسانيد في روايات البخاري ومسلم وأبي داوود والترمذي والنسائي وابن ماجة والموطأ لمالك بن أنس ومسنَد للشافعي ومسنَد لأبي حنيفة ومسنَد لأحمد بن حنبل ومسنَد للدارمي ومسنَد لعبد بن حميد ومسنَد للحارث ومسنَد للبخاري ومسنَد لأبي يعلى ومسنَد للحظلي ومسنَد للترمذي ومسنَد للبخاري ومسنَد للبغدادي ومسنَد ليحيى ومسنَد لعبد الرزاق والشفا لعيسى بن موسى والمشارك والمساييح والمشكات والشمال المحمدية والجميع الصغير وسنن للدارقطني وسنن لأبي مسلم وسنن لأبي سعيد والمصنف لأبي شيبة وغيرها من الكتب الكبار في روايات النبوية.

وانفق أهل الحديث وغيرهم من أهل العلم أن أفضل هذه الكتب الأحاديث هما الصحيحين للبخاري ومسلم رحمة الله عليهما، وقال القنوجي في مدينة العلوم: "انفق السلف من مشائخ الحديث على أن أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى صحيح البخاري وصحيح مسلم، وأصحهما صحيح البخاري"، فلذلك جمع الشيخ رحمه الله في سوق الأمة مسائل التوحيد والفقهاء والجهاد من هذين الصحيحين، فقال رحمة الله عليه في المقدمة: "وأورد في أحاديث الصحيحين البخاري ومسلم فقط لإجماع الأمة على قبولهما"، معناه كما قال الإمام النووي في شرح مسلم: "انفق العلماء على أن أصح الكتب بعد القرآن الكريم الصحيحان: صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وتلقاهما الأمة بالقبول، وكتاب البخاري أصحهما صحيحاً، وأكثرهما فوائد، وقد صح أن مسلماً كان ممن يستفيد منه، ويعترف بأنه ليس له نظير في علم الحديث، وهذا الترجيح هو المختار الذي قاله الجمهور، ثم إن شرطهما أن يخرج الحديث المتفق على ثقته نقلته إلى الصحابي المشهور من غير اختلاف بين الثقات، ويكون إسناده متصلاً غير مقطوع، وإن كان للصحابي راويان فصاعداً فحسن، وإن لم يكن له إلا راوٍ واحد إذا صح الطريق إلى ذلك الراوي أخرجه"، فأنهما لا يخرجان من الحديث إلا ما لا علة له، ولا ريب في تقديمهما في صحة روايتهما على غيرهما، وقد روى الفريبري عن البخاري أنه قال: "ما أدخلت في الصحيح حديثاً إلا بعد أن استخرت الله تعالى، وثبت صحته"، وقال مسلم: "عرضت كتابي على أبي زرعة، فكلمنا أشار إلى أن له علة تركته، فلذلك أن الشيخ رحمة الله عليه ما ورد في هذا الكتاب إلا من الشيخين فقط إلا في مسألتين، وقال الشيخ رحمة الله عليه: "لكون البخاري أصح من مسلم على ما ذهب إليه الجمهور"، أي الجمهور على تقديم صحيح البخاري على صحيح مسلم، وما نقل عن بعض المغاربة من تفضيل صحيح مسلم محمول على ما يرجع إلى حسن السياق، وجودة الوضع والترتيب، فمن فهم الأحاديث التي وردت في سوق الأمة من جهة ترجمة العلماء يعرف أنه مقتبسة من شعاع نور صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم، فإذا فهم أحكام الأحاديث وردت في سوق الأمة وقصدها وفقهها ترجمتها ينور الله بصيرته من العين الذي شربوا منه العلماء العارفون والفقهاء والمجتهدون.

وانقسم الشيخ رحمة الله عليه سوق الأمة على إثنين عشر كتب بعد المقدمة التي ورد فيها ثلاثة أحاديث، فهي كتاب الإيمان الذي ورد فيه خمسة عشر أحاديث، وكتاب الطهارة الذي ورد فيه واحد وعشرين أحاديث، وكتاب الحيض الذي ورد فيه تسعة أحاديث، وكتاب التيمم الذي ورد فيه سبعة أحاديث، وكتاب الصلاة الذي ورد

فيه ستين أحاديث، وكتاب الجمعة الذي ورد فيه سبعة أحاديث، وكتاب صلوات العيدين والإستسقاء والخسوف الذي ورد فيه سبعة عشر أحاديث، وكتاب الجنائز الذي ورد فيه ثمانية أحاديث، وكتاب الزكاة الذي ورد فيه ثمانية أحاديث، وكتاب الصوم الذي ورد فيه عشرة أحاديث، وكتاب الحج الذي ورد فيه تسعة وعشرين أحاديث، وكتاب الجهاد الذي ورد فيه ثمانية وثلاثين أحاديث، وقال الشيخ رحمة الله عليه: "وَلِكُونَ لَفْظِ رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ أَكْثَرُ فِيهِ مِنْ لَفْظِ رِوَايَةِ مُسْلِمٍ وَإِنْ اشْتَرَكَا فِي إِرَادِ مُعْظَمِهِ فِي الْمَعْنَى"، فورد في هذه الأبواب مائتين وإثنين وثلاثين أحاديث، ومائتان وسبع من صحيح البخاري وثلاث وعشرون من صحيح مسلم، وإن قال أنه لا ورد فيه إلا من الصحيحين لكنه استثناء في ذلك الحديثان، الواحد ما ورد في كتاب النوافلة في أربع ركعات قبل صلاة العصر كما قال: "وَلَمْ أَفُ عَلَى أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ قَبْلَ الْعَصْرِ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَقَدْ رَوَى ذَلِكَ النَّسَائِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ"، والثاني ما ورد في كتاب الزكاة كما قال: "ولم أف على قدر نصاب البقر في الصحيحين" فورد الحديث فيه من رواية الترمذي عن معاذ.

وقال الشيخ رحمة الله عليه: "وَلِكُونَ رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ عِنْدِي سَمَاعًا بِخِلَافِ رِوَايَةِ مُسْلِمٍ فَإِنَّهَا كَانَتْ عِنْدِي إِجَازَةً"، فأخذ جميع الأحاديث التي وردت في هذا الكتاب بسماعا أو إجازة من أربع العلماء، أهمهم خاله وعمه العالم الشيخ الحاج محمد بن راج، قال الشيخ عبد الله بن فودي في إيداع النسخ: "وأخذ العلم الحديث من خالنا وعمنا الحاج محمد بن راج بن مؤدب بن حمّ بن عال، فقرأ عليه الصحيح البخاري جميعه وأنا أسمع، ثم أجازنا جميع مرياته مما أخذ من شيخه المدني السندي الأصل أبي الحسن علي"، وقال أيضا في تزيين الورقات: "ثم رجعت إلى الوطن فوجدت الشيخ عثمان خرج إلى الحاج محمد بن راج لقراءة البخاري، فتبعته فوجدته لن يبدأ القراءة، فدخلنا معاً في قراءة البخاري يقرأ ونحن نسمع سنة ألف ومائتين وواحد من الهجرة والله اعلم"، فهذا معنى قول الشيخ رحمة الله عليه: "ولكون البخاري عندي سماعا".

وقال الشيخ عبد الله بن فودي منظوما في إيداع النسخ في مدح هذا الشيخ المبارك:

"من الحاج عمي ابن راج محمد * سماع البخاري الصحيح المطيب

وسائر كتب للحديث أجازنا * بما عن علي في المدينة يثرب."

فذكر الشيخ رحمة الله عليه أسانيده في جميع الصحيح للبخاري في أسانيد الفقير فقال: "أما الجامع الصحيح لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري فقد أخبرنا به شيخنا أبو محمد محمد بن الرّاج [أي الحاج محمد ابن راج بن مؤدب بنت بن حمّ بن عال بن محمد جبّ بن محمد سنّب بن ماسران] بقراءته عليه لجميعه بمرتون سنة مائتين بعد الف (1786\1200) من الهجرة النبوية في الربيع الأول منها ثم أجازنا به أيضا عن شيخه أبي الحسن السندي المدني سماعا عليه بقراءة عبد الرحيم المجاور في رباط قراباش في المسجد النبوي من باب فيه شعر الجارية ويوم الوشام إلى آخر الكتاب، قال ثم قرأت عليه بعد ذلك من أول الكتاب إلى ذلك المحل، قال أخبرنا شيخنا محمد الحياة المقدم قراءة عليه وأنا أسمع في مسجد النبي المكرم صلى الله عليه وسلم بمعظمه وإجازة لسائرته عن الشيخ عبد الله بن سالم البصري إجازة عن الشيخ إبي عبد الله محمد بن علاء الدين البابلي المصري قراءة عليه لبعضه وسماعا لمعظمه وإجازة لسائرته عن أبي النجا سالم بن محمد بن أحمد بن علي القيطي بقراءته عليه لجميعه عن شيخ الإسلام أبي يحيى زين الدين زكرياء بن محمد الأنصاري بقراءته عليه لجميعه عن حافظ عصره شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني بقراءته عليه لجميعه عن

الأستاذ إبراهيم بن أحمد التتوخي (بفتح الفوقانية وضمّ النون الخفيفة) بسماعه عليه لجميعة عن أبي العباس أحمد بن أبي طالب الحجار بسماعه عليه لجميعة عن السراج الحسين المبارك الزبيدي (بفتح الزاي) الحنبلي بسماعه عليه لجميعة عن أبي الوقت عبد الأول عيسى بن شعيب السجزي (بكسر السين المهملة وسكون الجيم والزّي) الهروي عن أبي الحسن عبد الرحمن بن مظفر بن داوود الداودي سماعاً عليه عن أبي محمد عبد الله بن أحمد السرخسي سماعاً منه عن أبي عبد الله محمد بن يوسف بن مطر بن صالح الفريزي سماعاً منه عن الحافظ الحجة أمير المؤمنين في الحديث أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة البخاري الجعفي سماعاً منه، فأخذ الشيخ رحمة الله عليه هذا السند عن الشيخ الحاج محمد بن راج مرتين، وأخذ أيضاً من الشيخ أبي الأمانة الحاج جبريل بن عمر بسبع الأسانيد وأيضاً عن ابنه الشيخ أبي التوفيق عمر بن جبريل بن عمر بنفس الأسانيد لكن من طريق الشيخ القاضي إبراهيم بن موسى غابر الكنوي، فذكر الشيخ عبد الله بن فودي رحمه الله تعالى هذا السند للشيخ جبريل بن عمر في ضياء السند بقوله ملخصاً:

وَقَدْ أَجَازَنَاهُ جَبْرَيْلُ * الْعَالِمُ الْحَاجُّ الرَّضَى النَّبِيلُ
 عَنْ مُرْتَضَى فَهْوِ الْمَرْجَاجِ * مُحَمَّدِ الْوَاضِحِ الْمِنْهَاجِ
 عَنْ إِبْرَاهِيمَ ذَا عَنِ اللَّاهُورِيِّ * ذَا عَنِ مُحَمَّدِ الرَّضَى الْمَشْهُورِ
 عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَحْمَدِ الطَّائُوسِ * عَنْ يُوسُفَ الْمُعَمَّرِ الْمَانُوسِ
 عَنْ إِبْنِ شَادِبَخْتِ الْفَرْعَانِيِّ * عَنْ إِبْنِ شَاهَانَ هُوَ الْخِتْلَانِيِّ
 عَنْ الْفَرَبْرِيِّ عَنِ الْبُخَارِيِّ * وَذَا الْعُلُوُّ بَغِيَّةٌ لِلْقَارِيِّ

وأخذ الشيخ إجازة أخرى في صحيح البخاري عن الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ محمد من طريق الشيخ القاضي إبراهيم بن موسى غابر الكنوي، وأخذ الشيخ إجازة أخرى في صحيح البخاري عن الشيخ محمد بن محمد المعروف ببُعُغْ أيضاً من طريق الشيخ القاضي إبراهيم بن موسى غابر الكنوي.

وأما سند الشيخ عثمان في صحيح مسلم فقال أيضاً في أسانيد الفقير: "أما صحيح مسلم بن الحجاج القشيري نسباً النيسابوريّ وطناً فقد أجازنا به شيخنا أبو محمد محمد بن الرّاج [أي الحاج محمد ابن راج بن مودب دت بن حم بن عال بن محمد جب بن محمد سنّب بن ماسران] إجازة وهو عن شيخه أبي الحسن السدي سماعاً عليه بقراءة عبد الرحمن بالسند الأول للبخاري إلى شيخ الإسلام زكرياء بن محمد الأنصاري وهو عن الحافظ أبي نعيم رضوان بن محمد العقبي بقراءته عليه لجميعة عن الشرف أبي الطاهر محمد بن محمد بن عبد اللطيف بن الكويك بسماعه لجميعة عليه بقراءة حافظ بن حجر في أربعة مجالس سوى مجلس الختم عن أبي الفرج عبد الرحمن بن عبد الهادي الحنفي المقدسي سماعاً لجميعة عن العباس أحمد بن عبد الدائم النابلسي سماعاً لجميعة عن فقيه الحرام أبي عبد الله محمد بن الفضل بن أحمد الفراءي سماعاً قال أخبرنا أحمد بن محمد بن عيسى الجودي [يضم الجيم واللام] سماعاً قال أخبرنا إبراهيم بن سفيان النيسابوريّ سماعاً، وإبراهيم هذا هو أبو أسحاق الزاهد العابد وكان مجاب الدعوة ومن الملائزمين لمسلم، وقال فرغ لنا مسلم من قراءة الكتاب في شهر رمضان سنة سبع وخمسين ومائتين"، وهذا معنى قوله رحمة الله عليه: "بخلاف رواية مسلم فإنها كانت عندي إجازة" وأخذ إجازة أيضاً من الشيخ أبي الأمانة الحاج جبريل بن عمر بأربع الأسانيد وأيضاً عن ابنه الشيخ أبي التوفيق عمر بن جبريل بن عمر بنفس الأسانيد، فأوجز الشيخ عبد الله بن فودي هذا الكلام في ضياء السند بقوله:

وَعَنْهُ مِنْ إِسْنَادِ عَبْدِ الْحَقِّ *
 عَنْ شَيْخِهِ مُحَمَّدِ بْنِ الْجَزْرِيِّ *
 عَنْ بِنْتِ كِنْدِيٍّ عَنِ الطُّوسِيِّ *
 عَنْ شَيْخِهِ الْإِمَامِ عَبْدِ الْغَافِرِ *
 عَنْ ابْنِ سَفْيَانَ الْفَقِيهِ الزَّاهِدِ *
 لِأَحْمَدَ بْنِ أَحْمَدَ الْفَائِقِ
 عَنْ أَحْمَدَ الصُّوفِيِّ ذَلِكَ الْأَثَرِ
 عَنِ الْفَرَاوِيِّ الْفَتَى الرَّضِيِّ
 عَنِ الْخُلُودِيِّ الْإِمَامِ الْفَاخِرِ
 عَنْ مُسْلِمٍ أَكْرَمَ بِهِ مِنْ مَاجِدٍ

وأما سند الشيخ رحمه الله تعالى في السنن الصغرى للحافظ أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي فقال في أسانيد الفقير: "وأما سندنا في رواية السنن الصغرى للنسائي المسمى بالمجتبى بالموحدة وقيل بالنون، فقد أخبرنا شيخنا أبو محمد محمد بن راج إجازة وهو عن شيخه أبي الحسن السندي الأول للبخاري إلى شيخ الإسلام زكرياء بن محمد الأنصاري وهو عن الزين رضوان بن محمد بقراءته لجميعه عليه عن البرهان إبراهيم بن محمد التنوخي مشافهة عن أبي العباس أحمد بن أبي طالب الحجار بسماعه عليه عن أبي طالب عبد اللطيف بن محمد بن علي القيطي إجازة عن أبي زرعة طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي سماعا عليه لجميعه عن أبي محمد بن عبد الرحمن بن أحمد الدوني سماعا، قال أخبرنا القاضي أبو نصر أحمد بن الحسين الكساري، قال أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد بن إسحاق بن السنّي الدينوري الحافظ، قال أخبرنا مؤلفه الحافظ أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي"، وأخذة أيضا إجازة من الشيخ أبي الأمانة جبريل بن عمر وولده النحيب أبي التوفيق عمر بسندهما إلى المؤلف النسائي، وقال الشيخ عبد الله بن فودي في ضياء السنن ملخصا:

وَعَنْهُ مِنْ إِسْنَادِنَا لِابْنِ حَجَرَ *
 وَعَنْهُ بِالإِسْنَادِ لِابْنِ الْجَزْرِيِّ *
 ذَا عَنْ أَبِي الصَّبْرِ عَنِ الْعِرَاقِيِّ *
 هُمَا عَنِ الشَّيْخِ الْإِمَامِ السَّلْفِ *
 ذَا عَنْ أَبِي نَصْرِ هُوَ التَّنُورِيِّ *
 يُعْرَفُ فِي السِّيَاقِ بِابْنِ السُّنِّي *
 عَنْ شَيْخِ تَنُوحِ أَيُّوبَ الْأَبْرِ
 عَنْ سَبِطِ نَجْلِ الصُّومَعِيِّ الْأَثَرِ
 وَعَنْ أَبِي عَمْرٍو بِالإِتِّفَاقِ
 كِتَابَةَ عَنِ شَيْخِهِ الدُّوزِ الْوَقِيِّ
 ذَا عَنْ أَبِي بَكْرِ الْإِمَامِ الْأَفْخَرِ
 عَنِ النَّسَائِيِّ إِمَامِ الْفَنِّ

وأما سند الشيخ رحمه الله تعالى في رواية الجامع الكبير للترمذي فقال الشيخ في الكتاب المذكور: "فقد أخبرنا به شيخنا أبو محمد بن الراج إجازة وهو عن أبي الحسن السندي المدني سماعا عليه بقراءة عبد الرحيم، قال قرأت جميعه على الشيخ محمد حياة في المسجد النبوي على صاحبه أفضل الصلاة وأكمل التسليمات على الشيخ عبد الله بن سلام إجازة عن أبي عبد الله البابلي سماعا لجميعه عليه بقراءة العلامة الشيخ عيسى بن محمد المغربي عن النور على بن يحيى الزيايدي عن الشهاب أحمد بن محمد الرملي عن الزين زكرياء عن العز بن الرحيم بن الفرات مشافهة بإجازة عن أبي حفص عمر بن الحسين المراغي عن الفخر بن النجاري عن عمر بن طبرزد البغدادي، قال أخبرنا أبو الفتح عبد الملك بن أبي سهل الكروخي (بفتح الكاف وضم الراء المخففة)، قال أخبرنا بجميعه القاضي أبو عامر محمود بن القاسم الأزدي، قال أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد بن عبد الله بن أبي الجراح الجراحي المروزي، قال أخبرنا أبو العباس محمد بن محبوب المحبوبي المروزي، قال أخبرنا الحافظ الحجة أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي بجامعه"، وأخذة أيضا بعين سند في رواية الجامع الصحيح للبخاري من الطريق المسلسل ببني جمعان إلى صاحب الجامع الكبير، وأخذة أيضا من السند

الذي أجازته شيخه أبو الأمانة جبريل بن عمر وولده النجيب أبو التوفيق عمر بن جبريل بسندهما المتقدم ذكره إلى صاحب الجامع الكبير، فأوجز هذا السند للشيخ جبريل بن عمر في ضياء السند للشيخ عبد الله بن فودي بقوله:

وَعَنْهُ مِنْ إِسْنَادِنَا الْمَنْسُوحِ * لِلْعَسْقَلَانِيِّ عَنِ التَّنُوخِ
 ذَا عَنْ أَبِي مَنْصُورِ الْبَغْدَادِيِّ * عَنْ عَابِدِ الْعَزِيزِ ذِي السَّدَادِ
 عَنْ الْكُرُوخِيِّ عَنِ التَّرِّيْقِيِّ * عَنْ الْخِرَازِيِّ الرَّضِيِّ السَّبَّاقِ
 عَنْ ابْنِ مَحْمُودٍ عَنِ الْإِمَامِ * التَّرْمِذِيِّ الْمُعْتَلِيِّ الْمَقَامِ

فمن هذه الأسانيد ورد الشيخ رحمة الله عليه كتابه سوق الأمة إلى إتباع السنة، واعتقد بعض العلماء أنه صنفه بعد سنة 1208 الهجرية [حول سنة 1794 الميلادي] في الفترة التي صنف فيها إحياء السنة وإخماد البدعة لأن هذا كان عادته في مؤلفاته، فجميع الكتب للشيخ رحمة الله عليه فيض من حاله المرضية، وكما ذكرنا أن في هذه الفترة أمدته الله تعالى بأنوار الفيض ببركة دوام على الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، فجذبه الله إلى حضرته، فشاهد من عجائب الملكوت وحصل على غرائب الجبروت، وكشف له عن حضرة الأفعال والأسماء والصفات، وأشهده غرائب الذات، ووقف على اللوح المحفوظ، وفك رمزه الملحوظ، فصار بحمد الله بين أولياء الله، يكرع من كأسات القرب، ويكتسي من حلل العرفان والحب، وكساه الحق تعالى حلة الدعوة إليه، وتوجه تاج الهداية والإرشاد إليه، وأهله للدعوة إليه، وإرشاد العامة والخاصة، فما صنف الشيخ كتابا في هذه الفترة إلا كانوا الناس محتاجون إليه في دينهم ودنياهم، وجد في زمانه من أنواع الكفر والقسوق والعصيان وأمورا فظيعة، وأحوالاً شنيعة، طبقت بلاد السودان وملأتها، حتى لا يكاد يوجد فيه من صح إيمانه وتعبد إلا النادر القليل، ولا يوجد في غالبهم من يعرف التوحيد، ويحسن الوضوء والصلاة والزكاة والصيام وسائر العبادات، فقام هذا الشيخ ينصح لعباده في دين الله، ويهدم العوائد الردية، ويخمد البدع الشيطانية، ويحيي السنة المحمدية، ويعلم الناس فروض الأعيان ويدلهم على الله، ويرشدهم إلى طاعته، ويكشف لهم ظلم الجهالات، ويزيل لهم الإشكالات، فصنف كتابه سوق الأمة شافيا لأمرضهم، وقال في إحياء السنة: "إعلامكم بأن الأمة ما يؤمنهم من الفتن إلا حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم، وما يؤمنهم من ظهورها بعده إلا إحياء سنته، فعليكم باحيائها واتباعها أبدا، وإياكم والإبتداع لأن الخير كله في الإبتداع والشر كله في الإبتداع".

فصنف الشيخ سوق الأمة ليسوق الناس ويرجعهم إلى مدار التوحيد وأصل الفقه وأساس الحقيقة وهو سنة نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم، وقال رحمة الله تعالى عليه في ترويح الأمة: "قَالَ عَبْدُ الْوَهَّابِ الشَّعْرَانِيُّ فِي الدَّرَرِ الْمُنْتَوْرَةِ فِي بَيَانِ زُبْدِ الْعُلُومِ الْمَشْهُورَةِ: "إِنَّمَا كَلَّفَ اللَّهُ جَمِيعَ عِبَادِهِ بِمَا صَرَّحَتْ بِهِ الشَّرِيعَةُ فَقَطُّ"، وَيَعْنِي الْمُنْعَبِدَ وَالْمُؤْمِنَ الْمُحْتَرِفَ أَنْ يَعْملَ بِمَا وَرَدَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ صَرِيحًا لَا اسْتِنْبَاطًا، إِذْ جَمِيعُ مَا اسْتَنْبَطُ لَيْسَ بِشَرْعٍ مَعْصُومٍ لِلَّهِ تَعَالَى، إِنَّمَا هُوَ تَشْرِيعُ عِبَادِهِ، وَلِذَلِكَ وَقَعَ الْخِلَافُ فِيهِ ذُونَ الصَّرِيحِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ يَعْنِي لِاخْتِلَافِ إِمْرَجَتِهِمْ، فَالْمَطْلُوبُ عِلْمُهُ إِنَّمَا هُوَ مَا شَرَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى صَرِيحًا، إِذْ هُوَ الْعِلْمُ الَّذِي يُسْأَلُ عَنْهُ الْعَبْدُ فِي الْآخِرَةِ، وَجَمِيعُ ذَلِكَ لَا حَرَجَ فِيهِ، وَلَا مَشَقَّةَ عَلَى أَحَدٍ فِي تَحْصِيلِهِ، وَلَا يَحْتَاجُ فِي مَعْرِفَتِهِ إِلَى صَرْفِ عُمْرٍ وَتَعْطِيلِ سَبَابٍ فِي تَحْصِيلِهِ، لِأَنَّ مَضْمُونَهُ أَفْعَلُوا كَذَا وَاتْرَكُوا كَذَا، وَهَذَا لَا يَتَوَقَّفُ فِي فَهْمِهِ الْعَوَامِّ بِخِلَافِ مَا شَرَعَ الْمُجْتَهِدُونَ مِنَ الْإِيْمَةِ، فَإِنَّهُ لَا يُسْأَلُ عَنْهُ أَحَدٌ فِي

الأخيرة، وفيه الحرج والمشقة، ويحتاج إلى صرف عمرٍ وتعبيل أسباب في تحصيله، كما هو مشاهدٌ، وقال فيه أيضاً: "قال في الرسالة المباركة: وما طول الفقهاء من تفقههم اشتغالهم بفهم تراكيب كلام بعضهم بعضاً ومنطوقه ومفهومه حتى تغدوا عن الشريعة الحق المعصومة عن فهم أسرارها المظهرة، ولو تركوا جميع كلام غير كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعملوا بشيء منه، فلا حرج عليهم في الدنيا والآخرة، وجميع أقوال العلماء عن ثلاثة أحوال، إما أن يوافق صريح السنة الواردة، فالمنة للسنة والمجتهد كالحاكمي لها، وإما أن تخالف صريح السنة، فتترك ويعمل بالسنة، وإما أن لا يظهر موافقتها ولا مخالفتها، فأحسن أحوالها الوقف فعلها أو تركها سواء إلا أن تكون مائلة إلى الإختياط في الدين، كلقول بمنع استعمال الحشيش وسائر ما يخذر ولا يسكر، فالعمل بها حينئذ أرجح ولو لم تصرح به الشريعة بذلك"، فذلك صنف الشيخ رحمة الله عليه سوق الأمة إلى إتباع السنة أو لا يكونه المصدر والمنبع للفقهاء في إجتهادهم واستنباطهم، وثانياً ليكون المتوسط في العلم عارفاً أن إختلاف الفقهاء رحمة لأن إختلافهم يرجع إلى كلام رحمة للعالمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وثالثاً ليكونه من الكتب الأمهات لعوام المسلمين في عقيدتهم وعباداتهم.

فضيلة سوق الأمة إلى إتباع السنة عديدة وعظيمة، هذا لأنه عمدة في بيان حد التوحيد والإيمان، وحجة في بيان أحكام فروض الأعيان، ومصدر للفقهاء، ومشرب لأهل الحديث الذين هم أهل الله تعالى الإيقان، فهم اعلم بدين الإسلام من سواهم، وفي رواية الترمذي وأبن حبان عن ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((اللهم أرحم خلفائي))، فقلنا: "يا رسول الله ومن خلفائك؟" قال: ((الذين يروون أحاديثي ويعلمونها الناس))، وفي رواية: ((الذين يحثن سنتي ويعلمونها الناس، من أحيا سنتي فقد أحياي ومن أحياي كان معي في الجنة))، فمن قرأ سوق الأمة وفهم كل ما فيه من الأحاديث وأحكامها ويعلمها الناس يدخله في خلفاء النبي صلى الله عليه وسلم من أهل الحديث رحمة الله عليهم.

ومن فضيلة سوق الأمة أيضاً إنه يدخل صاحبه ومن قرأه أو طالع أو كتبه أو حضّ عليه في الذين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم أنهم أقرب منه واحقهم بشفاعته كما رواه الترمذي وابن ماجه عن ابن مسعود: ((أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم على صلاة))، فقال الدارقطني في معنى هذا الحديث: "أصحاب الحديث أكثر الناس صلاة عليه"، هذا لأنه إذا روى الحديث من النبي صلى الله عليه وسلم ينبغي أن يصلى عليه إذا ذكر إسمه في هذا الحديث وإذا صلى عليه صلاة صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات ورفع له عشر درجات كما ورد في الأحاديث، فهذه فضيلته إذا قرأ الحديث الواحد، فكيف حاله إذا قرأ مائتين واثنين وثلاثين أحاديث التي ذكر فيها إسم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وما فيها من العلوم التي فرض على كل مكلف أن يتعلم؟ فهذا حاله إذا الرجل قرأ سوق الأمة وحده، فروى البزار عن أبي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((من صلى علي صلاة من تلقاء نفسه صلى الله عليه بها عشر صلوات وحط عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات))، فمن ذلك نعرف أن معنى قول الدارقطني: "أصحاب الحديث أكثر الناس صلاة عليه" أن أجر من يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم عند رواية الحديث أفضل من الأجر الذي يصلى عليه دونه لأنه يضاعف مع الصلاة أجر طلب العلم وإحياء السنة، فإن كان هذا أجره إذا قرأ سوق الأمة بنفسه، فكيف يكون أجره إذا قرأ سوق الأمة في مجالس العلم مع الجماعة؟ فيضاعف أجره مع أجر جميع في مجلسه من الإنس والجن، والله اعلم،

فضيلة سوق الأمة إلى إتباع السنة لا يحصى لأنه يدخل صاحبه ومن قرأه أو طالعاه أو كتبه أو حضَّ عليه في زمرة أهل الحديث الذين هم أهل الله تعالى وأوليائه البدلاء، فأخرج الشيخ أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي في كتاب الحجة على تارك المحجة بسنده إلى أحمد بن حنبل: أنه قيل له: "هل لله في الأرض أبدال؟" فقال: "نعم"، قيل: "من هم؟" قال: "إن لم يكن أصحاب الحديث هم الأبدال فما أعرف لله أبدالاً"، فأهل الحديث هم أولياء الله الكبار الذين بهم يرفع الله تعالى البلاء والمصيبة من أرضه، وأشار الشيخ إلى ذلك في بعض قصائده أن إلترام بالسنة هو طريقته إلى الله تعالى بل هو ورده، فقال:

سُنَّ غَدِيمٌ كُنْكَ كُورِيْمِ
كُنْكَ بَنِيْمٌ كُنْكَ بِيْرِدِيْمِ

فمعناه: "فهو السنة التي أحب وأنها مدار شغلي، وهي مدار منهجي وهي وردي"، فمن يريد أن يجمع عقيدة الشيخ ومذهبه وطريقته وسلوكه إلى الله في قول واحد فينظر إلى هذا الشعر، فليعرف قصد الشيخ رحمه الله في صناعته سوق الأمة إلى إتباع السنة، فإنه التجريح القاطع على بعض الأكاديمين في هذه الأزمنة الذين يزعمون أنه ما لازم لأحد إلترام بالسنة الحياتي في كل الأمور، وهو الإنكار على المنكرين الذين إنكار صحة مذاهب الأئمة المجتهدين، وهو أيضا الجحود على المقلدين الذين يتمسك بالمذهب المعين كأن غير مذاهب أهل السنة طرق إلى الضلالة، وهو الإيضاح إلى أن الطريق الصحيح الحقيقي إلى الله تعالى ومعارفاته هو بإجبار النفس إلى التمسك بالسنة الحياتي باطنا وظاهرا، وأن المرشد الحقيقي وشيخ الشيوخ في الطريق إلى الله تعالى هو سيدنا محمد عليه وعلى آله الطاهرين أفضل الصلوات وأتم التسليم، فإنه لا يحصل على هذا المرشد عليه السلام إلا بإماتة النفس وإحياء السنة المحمدية فيها كما قال عليه الصلاة والسلام: ((مَنْ أَحْيَا سُنَّتِي فَقَدْ أَحْيَانِي وَمَنْ أَحْيَانِي كَانَ مَعِي فِي الْجَنَّةِ))، وبقوله عليه الصلاة والسلام: ((رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيَّ خُلَفَائِي)) قيل: "وَمَا خُلَفَاؤُكَ؟" قَالَ: ((الَّذِينَ يُحْيُونَ سُنَّتِي وَيَعْلَمُونَهَا النَّاسَ، مَنْ أَحْيَا سُنَّتِي فَقَدْ أَحْيَانِي وَمَنْ أَحْيَانِي كَانَ مَعِي فِي الْجَنَّةِ))، وفي رواية: ((اللهم أرحم خلفائي))، فقلنا: "يا رسول الله ومن خلفاؤك؟" قال: ((الذين يروون أحاديثي ويعلمونها الناس))، فمعناه إن علماء السنة رضي الله تعالى عنهم هم أهل الله في أرضه، فلا يعلمه حق علمه إلا ياهم، فلا الباب مفتوحا إلى معارفات الله تعالى إلا بابهم، وروى في ترتيب المدارك للقاضي عياض: "سأل رجل مالكا عن الشيء من علم الباطن، فغضب وقال: "علم الباطن لا يعرفه إلا من عرف علم الظاهر، فمتى عرف علم الظاهر وعمل به فتح الله عليه علم الباطن، ولا يكن ذلك إلا مع فتح قلبه وتنويره"، ثم قال للرجل: "عليك بالدين المحض، وإياك وبنيات الطريق وعليك بما تعرف واترك ما لا تعرف"، فلا سبيل إلى بواطن الأمور إلا بظواهرها، ولا يتحقق بالحقائق إلا من جهة معارفات الشريعة وهي علم الظاهر، فلا اعلم بعلم الظاهر من الذين إحياء السنة ويعلمونها الناس ويروون أحاديثها، لأنهم قد صحبوا النبي صلى الله عليه وسلم بأنفسهم.

فذلك قال الشيخ رحمة الله عليه في أسانيد الفقير: "قال الحافظ الترمذي: يا لائمي في اشتغالي بالحديث، أفتق أهل الحديث، لهم بالمضطفي نسب، أهل الحديث هم أهل النبي، وإن لم يصحبوا أنفسه أنفاسه، صحبوا"، فقال إبراهيم بن أدهم: "إن الله ليدفع البلاء عن هذه الأمة برحلة أصحاب الحديث"، وقد كان بعض الأئمة الكبار إذا رأى أصحاب الحديث ينشد ويقول:

أهلاً وسهلاً بالذين أحبهم * وأودهم في الله ذي الآلاء
أهلاً بقوم صالحين ذوي تقى * غر الوجوه وزين كل ملاء

يا طالبى علم النبى محمد * ما أنتم وسواكم بسواء.

وقال الحافظ أبى طاهر السلفى فى فضل أهل الحديث:

دين النبى وشرعه إخبار * وأجل علم يقتفى آثاره

من كان مشتغلاً بها وينشرها * بين البرية لا عفت آثاره

وروى ابن عبد البر بسنده إلى عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل عن أبيه قال:

دين النبى محمد آثار * نعم المطية للفتى الإخبار

لا تعد عن علم الحديث وأهله * فالرأى ليل والحديث نهار

ولربما جهل الفتى طرق الهدى * والشمس طالعة لها أنوار

فمن هذه الأقوال الجميلة نعرف فضيلة وبركة سوق الأمة إلى إتباع السنة للشيخ عثمان بن فودي رحمة الله عليه لأنه يدخل العوام والخواص فى قول النبى صلى الله عليه وسلم كما رواه فى حديث أسامة بن زيد رضى الله عنه: ((يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين)) وفى قوله عليه الصلاة والسلام فى الرواية عن إبراهيم بن عبد الرحمن العذري: ((يرث هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين)).

وفى فضلية أهل الحديث وبالعلاقة فى فضيلة كتاب سوق الأمة قال الشيخ عبد الله بن فودي فى سراج

البخارى:

لَحْمُ اللَّهِ الَّذِي قَدْ اصْطَفَى * بِالنُّورِ خُدَامَ حَدِيثِ الْمُصْطَفَى
هُمُ خُلَفَاءُ الْمُبَلِّغُونَ * عَنْهُ إِلَى الْأُمَّةِ مَنْ يَرُودُونَ
أَهْلُ صَلَاتِهِ هُمُ الْعُدُولُ * لِلْعِلْمِ سَمَاءَهُمْ بِذَا الرَّسُولِ
يَنْفُونَ تَحْرِيفَ الْغُلَاتِ عَنْهُ * لَهُمْ نَضَارَةٌ بِدَعْوَى مِنْهُ
وَذَلِكَ آيَةٌ لَهَا أَحْكَامُ * وَسُنَّةٌ قَائِمَةٌ تَدَامُ
فَرِيضَةٌ عَادِلَةٌ وَغَيْرُ ذَا * فَضِيلَةٌ عَنِ الرَّسُولِ أُخِذَا
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا الْإِسْلَامُ * يَعْلُو عَلَى الْأَدْيَانِ وَالسَّلَامُ

فهذا الكلام للشيخ عبد الله نفيى لأنه بين فضيلة أهل الحديث واثبت بركة مضمنة فى كتاب سوق الإمة إلى إتباع السنة لسيدى الشيخ عثمان بن فودي رحمة الله عليه، فى قراءة سوق الأمة بركة عظيمة لأن الشيخ جعل فيه دعوة مستجابة بقوله: "فَأَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَجْعَلَهُ خَالِصًا لَوَجْهِهِ الْكَرِيمِ وَأَنْ يَجْعَلَهُ حُجَّةً لَنَا لَا عَلَيْنَا وَأَنْ يُرِينَا بَرَكَتَهُ يَوْمَ الْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَحِينَ حُلُولِ الْإِنْسَانِ فِي رَمْسِهِ وَأَنْ يَنْفَعَهُ بِهِ مَنْ قَرَأَهُ أَوْ طَالَعَهُ أَوْ كَتَبَهُ أَوْ حَضَّ عَلَيْهِ وَأَنَا أَطْلُبُ مِنْ وَفِّ عَلَيْهِ وَانْتَفَعُ بِهِ أَنْ يُشَارِكَنِي بِدَعْوَةٍ صَالِحَةٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ"، فإذا انظرنا إلى الأحاديث الصحاح التى وردت فيه وما فيها من أحكام العبادات والعقائد والمعاملات فيستحق به النور التام والخلافة والتبليغ والعدالة ودعوة من النبى صلى الله عليه وسلم، فقال عليه السلام فى روايات الأحاديث الكثيرة المتواترة فى يوم حجة الوداع: ((نضر الله امرأ سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه))، كما رواه الترمذى عن زيد بن ثابت، وفى الرواية عن أنس بن مالك قال: ((نضر الله من سمع قولى ثم لم يزد فيه، ثلاث لا يغل عليهن قلب

امرى مسلم: إخلاص العمل لله ومناصحة ولاة الأمر ولزوم جماعة المسلمين، فإن دعوتهم تحيط وراءهم))، وفي هذين الروايتين بشارة لأهل الحديث من دعوى من النبي صلى الله عليه وسلم، فمعنى النصارة في هذه الروايات الحسن والرويق، والمراد به خصه الله بالبهجة والسرور لأنه سعى في نصارة العلم وتجديد السنة، فجزاه في دعائه له بما يناسب حاله في المعاملة، ومعنى قوله عليه السلام: " فإن دعوتهم تحيط من وراءهم"، أي تحذق بهم من جميع جوانبهم، فمعناه أن دعواتهم مستجابة بفضل شغلهم بأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، وفي سوق الأمة ثلث العلم لأنه ما مندرج فيه السنة القائمة، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في حديث في رواية أبي داود وابن ماجة عن عبد الله بن عمر وابن العاص: ((العلم ثلاثة آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة وما سوى ذلك فهو فضل))، وفي رواية الحاكم: ((العلم ثلاثة وما سوى ذلك فهو فضل: آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة)).

ففتح روى أبي نعيم الديلي إنه عليه الصلاة والسلام قال: ((فمن استمسك بحديثي وفهمه وحفظه جاء مع القرآن ومن تهاون بالقرآن وحديثي فقد خسر الدنيا والآخرة، أمرت أمتي أن يأخذوا بقولي ويطيعوا أمري ويتبعوا سنتي فقد رضي بالقرآن))، وقال ابن عيينة: "ليس أحد من أهل الحديث إلا في وجهه نصرة لهذا الحديث"، فكل هذه فضائل مندرج في كتاب سوق الأمة إلى إتباع السنة.

فإن الفائدة الشاملة في هذا الكتاب المبارك لجميع الأمة ظاهرة لمن نور الله تعالى قلبه ببصيرته، ولكن فيه الفائدة الأخرى متعلقة خاصة لمليون النزية من المسلمين المسترقين من أهل التكرور والمخطوفين والمخلوعين من مواطنهم الإسلامية والمدفونين في بلدان الغرب، وهي أن هذا الكتاب يضمن الرجوع وصلة الرحم إلى سبيل أجدادنا الصالحين وتنفيذ الوعد من أبنينا إبراهيم عليه السلام إننا نرجعون إلى عادات أجدادنا الصالحين، فكتاب سوق الأمة إلى إتباع السنة وسيلة للمسلمين الإفريقيين التي بها يجدد دينهم من جهة أجدادهم بالسند المتواتر المرفوع إلى السنة الحياة لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فهذا اعظم الإستجلاء والكرامة من الله تعالى عليهم في هذه أواخر الزمان، ومن هذا المجال قال الشيخ رحمة الله عليه في آخر وصيته إلى جماعته مسمى الوصية:

"وإنما أنا قائد قومه إلى مصالح أمورهم، وداعيهم إلى دين الله، وطلب غفرانه ورحمته تعالى، وابتغاء مرضاته، إتباعا لسبل آباي وأجدادي الذين سلفوا من كونهم ذوي الرشد والإرشاد والتدريس والجهاد في سبيل الله لاعلاء الدين واتساعه وإبلاغه، إمتثالا لأمر النبي وإجابة لسؤاله صلى الله عليه وسلم في قوله: ((بلغوا غني ولو آية))، وهذا وراثتنا وورثة آباؤنا وأجدادنا، ونحن عليها دون الملك والسلطنة مع البغي والظلم، فمن اقتدى بنا فهو منّا، ومن لا فلا، وليكن عليه كل محبنا من الإخوان والأولاد والأحباب، بل كل ممتثل بأمرنا، وراض بقولنا، ومجيب لسؤالنا...بينغي أو الواجب على كل مؤمن عاقل اقتفاء آثار آباءه المؤمنين وإتباع سبل أجداده الصالحين والإقتداء بهم، ولذلك اقتديت بأجدادي في أخذ السنة جدا لأكون دليلا على الخير مثلهم، لأن الدال على الخير كفاعله بعد ثواب استعماله ذلك الخير".

ففي هذا المعنى إن كتاب سوق الإمة لنريات المسترقين من المسلمين الإفريقيين في الغرب هو الرد الواضح لما وصف الدكتور شرمون جاكسون فيهم من وعيد الوعي المزدوج وهو أيضا جزم بضربة واحدة على أمور تعريف بالذاتية وإقامة هوية الشخصية وحق الدولي لتقرير المصير، ومع ذلك هو يجمعنا تحت لواء السنة مع سائر هذه الإمة المحمدية المباركة رحمة الله عليهم وعلينا أجمعين، فهذه مترتبة على إقامة السنة، فالنصر

والكفاية والظهور مسبب عن إحياء وإتباع السنة، قال تعالى في هذا المجال: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمْ مَا كَانُوا يَحَدِّرُونَ﴾، فينبغي أن يؤكد على هذا القاعدة باعتبار أهم علاقتها بأمر انقلاب الإجتماعية والتحويل الآتي للحضارة المتسلطة بسبب الوقائع العظماء من أمر الساعة في أواخر الزمن.

وفي النهاية فقد ورد في هذا الكتاب المبارك مائتين وإثنين وثلاثين الأحاديث التي اثبتت بها علم التوحيد وعلوم المعاملات، وفي هذه الأحاديث أصول وقواعد لمذاهب المجتهدين، فلذلك قال بعض العلماء إن هذا الكتاب المبارك حجة أن الشيخ عثمان بن فودي رحمة الله عليه بلغ مقام المجتهد المجدد في علوم الدين التي هي علوم الأيمان والإسلام والإحسان، فنحن في المعهد الدولي سنكري نقم إليكم سوق الإمامة إلى إتباع السنة لتصحيح عقائدكم وتثبيت عباداتكم وتحقيق معارفاتكم حول قطب الكائنات سيدنا محمد عليه من الله أفضل الصلوات وأتم التسليم والحمد لله رب العالمين.

الشيخ محمد شريف بن فريد بروكس

الخميس، 19 محرم، 1430 [15-01-2009]

جُونِي فِي الصِّين



Institute of Islamic-African Studies International

فهذه الصف الأول من المخطوطة سوق الأمة إلى إتباع السنة للشيخ عثمان بن فودي التي صورتها من مكتب السلطان الحاج أبي بكر ابن محمد طاهر في ميرنو في السينار في السودان